قسم الأدب والنقد

وصف الطبيعة

في شعر محمد الأسمر

تحليل ونقد

الدكتور

محمود حمدان محمد بخيت

أستاذ الأدب والنقد المتفرغ

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بسوهاج

وصف الطبيعة في شعر محمد الأسمر

تحليل ونقد

محمود حمدان محمد بخيت

قسم الأدب والنقد ، كلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنات ،جامعة الأزهر الشريف، سوهاج ، مصر.

البريد الإليكتروني: mahmoudhamdan.٧٩@azhar.edu.eg

ملخص البحث :

الطبيعة مصدر إلهام لكل فنان ، ومنبع وحى في معظم الآثار الفنية ، سواء أكانت شعرًا ، أم موسيقى ، فهي كما يقول : " ليوناردو دافنشي " (معلمة المعلمين جميعًا) ، وقد ظهرت الطبيعة في أكثر مظاهرها في شعر محمد الأسمر ، حيث وصفها الشاعر في قصائد و مقطوعات شعرية تموج بالحياة ، وتنبض بالإحساس ، وصور مشاعره تجاهها ، في صورة موحية مثيرة للمشاعر والأحاسيس ، متغنيًا بأشجارها ، وأزهارها ، ومياهها ، وشمسها ، وقمرها ، وأطيارها ، وحيوانها .... واتسم شعره في وصف الطبيعة بخصوبة الخيال ورحابة التصوير بفضل موهبته الشعرية ، واستعداده الشخصي ، وبراعته في علوم اللغة ، واطلاعه على التراث الشعرى العربي القديم والحديث ،كما اتسم أسلوبه في وصف الطبيعة بسمات قلما وجدت في أسلوب غيره من شعراء عصره .

الكلمات المفتاحية: وصف –الطبيعة– محمد الأسمر– تحليل –نقد.

Description of nature in the poetry of Muhammad al-Asmar Analysis and criticism

Mahmoud Hamdan Mohammed Bakhit
Department of Literature and Criticism, Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls, Al-Azhar University, Sohag, Egypt.
E-mail:mahmoudhamdan.٧٩@azhar.edu.eg

Abstract:

Nature is a source of inspiration for every artist, and a source of inspiration in most artistic works, whether it is poetry or music, as it is, as Leonardo da Vinci (the teacher of all teachers) says،Nature has appeared in its most manifestations in the poetry of Muhammad Al-Asmar, where the poet described it in poems and pieces of poetry that ripple with life and pulsate with feelings, and portrayed his feelings towards her, in a suggestive form that provokes feelings and feelings, singing about its trees, flowers, and waters, and Its sun, its moon, its birds, its animals...

His poetry in describing nature was characterized by the fertility of imagination and the spaciousness of photography thanks to his poetic talent, his personal readiness, his ingenuity in linguistics, and his knowledge of the ancient and modern Arab poetic heritage.

His style of describing nature was also characterized by features rarely found in the style of other poets of his time.

Keywords: Description - Nature - Mohammed Al-Asmar - Analysis - Criticism

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ...

فهذه دراسة تحليلية نقدية تمثل رؤية نقدية جديدة لوصف الطبيعة في شعر شاعر مصر والعروبة والأزهر الشاعر المبدع محمد الأسمر (١٩٠٠ – ١٩٥٦م) الذي هام بالطبيعة هياما. وعشقها عشقا ، فصورها في شعره ، وأضفى عليها من روحه وحسه، حيث كان يجد فيها راحته، ويفرغ فيها همومه، وآلامه، وأحزانه.

ونحن نعزو ذلك إلى نشأة الشاعر في مدينة (دمياط) ذات الطبيعة الجميلة الساحرة، وتمتعه منذ نعومة أظافره، بمشاهد الطبيعة المتعددة ، من شمس وقمر ، وأنهار، وأشجار، وزروع وثمار، وجبال وأودية، كما يقول الأسمر في قصيدته (دمياط) (١)

يـــا بلـــدة فـــي ريـــاض الـــيم مطلعهـــا

مـــازال يشـــجي فـــؤادي عهـــدك الخـــالي

اردد الطـــرف فـــي شـــمس وفـــي قمـــر

علـــــى ربـــــاك ، وآرام، وأشـــــبال

وللأصـــــيل أيـــــاد كلهـــــا ذهـــــب

كيلـــت جزافـــا، ولـــم تـــوزن بمثقـــال

(١) ديوان الأسمر – ص٥٦١ ط : فن الطباعة سنة ١٩٥٠م.

يكســـو الربـــى ومياـــاه النيـــل أرديـــة

مـــن الحريـــر ولـــم يظفـــر بمنـــوال

لكنهـــا مـــن نســـيج الله معجـــزة

لمـــن بـــدمياط مـــن تحـــر وعمـــال

خيوطهـــا غزلتهـــا الشـــمس مســـرعة

قبـــل الغـــروب، فأعيـــت كـــل غـــزال

وما من شك في أن الطبيعة هي الملهم الأول للفنان، وذلك لأنها صادقة واضحة، لا تداجي ولا تنافق، ولا تخادع، فإذا ما غضبت انهمر مطرها الباكي، وإذا ما فرحت أشرقت شمسها الضاحكة، وإذا حزنت ساد ضبابها الكون، فخنق النور، وأدخل الكآبة والضيق في الصدور.

وربيع الطبيعة خضرة ونماء، وغناء وحب وشروق، وخريفها صفرة وتساقط وذبول، وصيفها قيظ وعرق واشتعال، وشتاؤها وحل وزوابع وأمطار.

فالطبيعة لا تعرف التظاهر بالمرح وهي حزينة ،أو التنكر في لباس الحزن وقلبها يرقص فرحا.

ومن ثم هام بها كثير من الشعراء ،وعاشوا حياتهم يتجاوبون مع أصداء أنغامها، ويرشفون أحلى لمسات جمالها، ويرسمون لمظاهرها لوحات فنية بارعة، فوصف الطبيعة من الفنون الشعرية القديمة قدم الشعر الجاهلي ، إذ رافق قيثارة الشعر العربي منذ وجودها الأول.

فقد وصف الشعراء الجاهليون والإسلاميون مشاهد الطبيعة. وفي العصر العباسي تطور وصف الطبيعة تطورا ملحوظا، حيث وصف الشعراء الطبيعة

وصفا حضاريا لا وصفا تقليديا. وفي الأندلس خالط شعر الطبيعة أكثر الأغراض الشعرية، وأبدع الأندلسيون فيه، وكانت لهم عبقرية نادرة في وصف الطبيعة نظرا لجمال الطبيعة في بيئة الأندلس، والحياة المترفة اللاهية التي عاشها بعض شعراء ذلك العصر.

وفي العصر الحديث كثر الشعر الواصف للطبيعة، وأبدع فيه بعض الشعراء، ومن هؤلاء الشعراء محمد الأسمر الذي هام بالطبيعة ،ووصف أكثر مشاهدها وصفا ينم عن عشقها ،والهيام بها، والاندماج فيها بروحه وكيانه.

وقد توخيت أن انهج في هذه الدراسة منهجا تحليليا يعنى بتحليل وصف الطبيعة في شعر محمد الأسمر، وما يحويه من قيم شعورية وجمالية.

واقتضى منهج البحث تقسيمه إثر هذه المقدمة إلى ثلاثة مباحث جاءت كما يلي :

المبحث الأول: وصف مظاهر الطبيعة في شعره، وتناولت فيه : وصف مظاهر الطبيعة الصامتة في شعر الأسمر ماثلة في :النباتات، كالأشجار والأزهار، والمائيات: كالأنهار ،والبحار، والأمواج، والسحب والأمطار. والكونيات: كالشمس، والقمر، والنجوم، والكواكب، والليل، والفجر، والصبح، والضحى. والفصليات: كالربيع، والشتاء، والصيف.

كما تناولت فيه وصف محمد الأسمر لمظاهر الطبيعة الصائتة (الحية) كالطيور والحيوانات .

المبحث الثاني : وجعلته للحديث عن (الخصائص الفنية في شعر وصف الطبيعة عند محمد الأسمر)متمثلة في :

- الألفاظ والأساليب.
- المعاني والأفكار.
- الخيال والصورة الشعرية.
- الموسيقى والأوزان.

أما المبحث الثالث : فقد وضعت فيه (محمد الأسمر في ميزان النقد)، وتضمن:

أولاً: تأثر الأسمر بشعراء وصف الطبيعة السابقين.

ثانياً: التجديد في شعر وصف الطبيعة عند الأسمر.

ثالثاً: اتجاهات وصف الطبيعة في شعره .

رابعاً: آراء النقاد في شعره.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتوجه إلى الله العلي القدير بالحمد والثناء على حسن توفيقه، وعظيم عونه في إبراز هذه الدراسة التي آمل أن أكون قد وفقت فيها، وإلا فحسبي أنني رمت الغاية ،وبذلت الجهد وحاولته.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

دكتور/ محمود حمدان محمد بخيت

* * * * * *

المبحث الأول

وصف الطبيعة في شعر محمد الأسمر

باستقراء شعر محمد الأسمر، بدا – لنا – الشاعر محباً للطبيعة، يجيد وصفها في أكثر ألوانها وأشكالها، إذ لم يكد يدع مظهراً من مظاهر الطبيعة إلا تناوله في شعره، فقد تناول الطبيعة الصامتة (الساكنة)، كما تناول الطبيعة الصائتة (الحية) ماثلة في كل كائن حي عدا الإنسان. وجاء شعره في وصف الطبيعة متعدد الألوان، متضمناً كثيراً من أجناسها في وصف يتسم بالدقة والاستقصاء.

وإذا رحنا نبحث عن شعره في وصف الطبيعة نستبين منه مظاهرها، فإننا نجده قد كاد يحصي كل مظاهرها من شمس، وقمر، ونجوم، وكواكب، ورياح، وسحب، ورعد، وبرق، وما إلى ذلك من مظاهر الكون العلوية. كما نجد الشاعر قد تناول بالوصف والتصوير الطبيعة الأرضية جبالها ووديانها، ورباها وأنهارها، وبحارها وأشجارها وأزهارها، كما تناول أيضاً الطبيعة الصائتة (الحية) من طيور وحيوانات.

وقد ظهر أثر الطبيعة الجميلة في شعر محمد الأسمر، حيث وصفها الشاعر في قصائد ومقطوعات شعرية تموج بالحياة، وتنبض بالإحساس المرهف، وصور مشاعره تجاهها بصور موحية مثيرة للمشاعر والأحاسيس، متغنياً بمياهها، وأطيارها، وأشجارها، وأزهارها، وجبالها، وحيوانها.

حتى لقد ملكت عليه مشاعره وامتزجت بنفسه، وعاشت في وجدانه. فراح يصورها في شعره تصويراً ينبض بالحركة والحياة والإحساس.

وبالتأمل في شعر وصف الطبيعة عند الأسمر تبين أن شاعرنا قد غاص في مظاهر الطبيعة بوجدانية جياشة، ومشاعر حساسة، وشاعرية متأججة

تفيض رقة وسلاسة وإشراقاً، فجاء شعره في وصف الطبيعة صدى لما في نفسه، وتعبيراً عما يجيش في فؤاده من شوق وحنين إلى حياة (القرية) حيث القمر، والأشجار، والأنهار، والأزهار، والربى، والندى وغيرها من مظاهر الطبيعة التي تزخر بها القرية، كما في هذه القصيدة التي يعبر فيها الأسمر عن حنينه إلى حياة الريف، ويصف فيها جمال الطبيعة في الريف المصري.

يقول الشاعر في قصيدته (حنين القروي) [١]:

شـــــــــــــفني الســـــــــــــهر

فاســـــــــــــألي القمـــــــــــــر

إنـــــــــــــه الـــــــــــــذي

يعـــــــــــــرف الخبـــــــــــــر

يـــــــــا ابنـــــــــة القـــــــــرى

طـــــــــال بـــــــــي الســـــــــفر

لســـــــــــــت راغبـــــــــــــاً

عنـــــــــــــك بالحضـــــــــــــر

كـــــــــــــل ليلـــــــــــــة

أذكـــــــــــــر الشـــــــــــــجر

(١) ديوان الأسمر – ص٤٥٣ .

أذكـــــــــــــــر الربـــــــــــــــى

أذكـــــــــــــــر النهـــــــــــــــر

أذكـــــــــــــــر الضـــــــــــــــحى

وهـــــــــــــــو منتشـــــــــــــــر

يمســـــــــــــــح النـــــــــــــــدى

عـــــــــن فـــــــــم الزهـــــــــر

فالطبيعة – كما يرى شاعرنا – كتاب مفتوح، تقرأ فيه ما لم تحوه الكتب، يقول(١):

تلـــك الطبيعـــة فـــافتح مـــن صـــحائفها

واقـــرأ هنالـــك مـــا لـــم تحـــوه الكتـــب

ومن ثم فهو يتمنى أن يحيا حياة هادئة مع الأشجار والأعشاب، كما يقول في قصيدته (أين الهدوء؟)(٢):

مـــن لـــي بـــدار حولهـــا بســـتانها

أحيـــا مـــع الأشـــجار والأعشـــاب؟

---

(١) ديوان الأسمر – ص٣١٨ .

(٢) بين الأعاصير لمحمد الأسمر – ص١٢٧.

ويستهويه البحر في كل حالاته، حتى إنه ليحن إلى هوائه، ومنظره، وموجه، وشطه، يقول [١]:

وبـــدا البحـــر، كـــم أحـــنّ إلـــى الـــبح

ر هـــــــواءً ، ومنظـــــــراً عبقريـــــــاً

رقـــــص المـــــوج فيـــــه فيروزيـــــا

وارتمـــــى فـــــوق شـــــطه فضـــــيا

ولعل من أبرز شعر الأسمر في وصف الطبيعة قصائده: (دمياط)[٢]، (الشمس)[٣]، (إلى الإسكندرية)[٤]، (حتى الطبيعة)[٥]، (في النيل)[٦]، (هيفاء الريف)[٧]، (بورسعيد)[٨]، (الربيع)[٩]، (صيف مصر ومصطاف رأس البر)[١٠]، (طيف من القبور)[١١]، (العصفور الصغير)[١٢]، وقصيدته الرائعة

---

(١) بين الأعاصير لمحمد الأسمر – ص١٦٣ .
(٢) ديوان الأسمر – ص٥٦١ .
(٣) بين الأعاصير – ص١٠٣ .
(٤) بين الأعاصير – ص١٦٣ .
(٥) بين الأعاصير – ص١٧٠ .
(٦) ديوان الأسمر – ص٥٧٨ .
(٧) ديوان الأسمر– ص٥٧٩ .
(٨) ديوان الأسمر– ص٥٦٣ .
(٩) ديوان الأسمر– ص٥٨٤ .
(١٠) ديوان الأسمر – ص٣١٧ .
(١١) ديوان الأسمر– ص٦٠٤ .
(١٢) بين الأعاصير – ص١٢٣ .

(الشاعر والجمال)[١]، وهي ذات طابع رومانسي واضح، وغير هذه القصائد كثير في شعره.

أولاً : **وصف مظاهر الطبيعة الصامتة** (**الساكنة**):

النباتات:

النبات مظهر جميل من مظاهر الطبيعة؛ لما يضفيه عليها من جمال الألوان، وسحر الخضرة، وشذى العطر، وعبقرية المنظر والتنسيق.

فهو يضفي على الأرض زينة وجمالاً، ويبعث فيها مظاهر الحياة والنماء، فإذا هي تبهج النفوس، وتسر الناظرين، قال تعالى[٢]: ﴿**وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾.

ومن هنا كان النبات مظهراً من مظاهر الطبيعة ألهم الشعراء، فكان مادة من مواد شعرهم.

وإذا كان الشعراء منذ الجاهلية قد وصفوا النبات بأنواعه خصوصاً في العصرين العباسي والأندلسي فوصفوا الرياض والأزهار والأشجار والورود والرياحين، فإن شاعرنا وصف ما وقعت عليه عينه في بيئته، حيث عاش شطراً كبيراً من حياته في (دمياط) ذات الطبيعة الخلابة بما فيها من أشجار، وأزهار، وورود، فلم تفارق عينيه ألوانها وأشكالها، ولم يزايل أنفه عطرها وأريجها، وهو دائم الشوق والحنين إليها، كما رأينا في قصيدته (حنين القروي)[٣].

---

(١) بين الأعاصير– ص١٤٧ .

(٢) سورة الحج – الآية ٥ .

(٣) ديوان الأسمر – ص٤٥٣ .

الأشجار:

وربما كان للأشجار صدى عميق في نفس الأسمر؛ لأنها تتراءى أمام ناظريه حول الحقول الخضراء، ووسط الرياض الفيحاء، وعلى الربوات وشواطئ الأنهار، بأوراقها الخضراء وأغصانها الباسقة، وفروعها المتمايلة التي تحركها الرياح كلما هبت عليها، وثمارها المتدلية التي تبعث في النفس السرور والابتهاج.

وشاعرنا حين يصف الأشجار لا يصفها وصفاً مجرداً، منعزلاً عن نفسه، وإنما يصفها من خلال مشاعره وأحاسيسه، فهو يراها متعة حسية ومعنوية، وباعثاً من بواعث سروره وبهجته، ومن ثم فهو بحبّها وتستهويه مشاهدتها، حتى ليقول(١):

مـــن لـــي بـــدار حولهـــا بســـتانها

أحيـــا مـــع الأشـــجار والأعشـــاب؟

وها هو ذا يصف شجرة من أشجار النخيل معبراً عن حبه لها، وولعه بمشاهدتها.

يقول الأسمر في قصيدته (هيفاء الريف)(٢):

أبصـــرتها بـــين لـــدات عشـــر

واقفـــة بـــين الرُّبَـــى والنهـــرِ

(١) بين الأعاصير – ص١٢٧ .

(٢) ديوان الأسمر – ص٥٧٩ .

عاريـــــة لـــــم تســـــتتر بســـــتر

مرســـــلة الشـــــعر، وأي شـــــعر

أحببتهـــا فيمـــا مضـــى مـــن عمـــري

وطـــاب شـــعري عنـــدها ونثـــري

كـــم زرتُهـــا تحـــت ضـــياء البـــدر

وزرتُهـــا بعـــد طلـــوع الفجـــر

وزرتهـــا فـــي الظهـــر أو فـــي العصـــر

وكـــم ضـــممتُ صـــدرها لصـــدري

غيـــر مبـــال بافتضـــاح ســـرِّي

وقـــد بـــدا للنـــاس فيهـــا عُـــذْري

أيـــام أمـــري فـــي الغـــرام أمـــري

أمـــرحُ فـــي لهـــو الصِّـــبا وأجـــري

/*/*/

واهـــا لهـــا بـــين العقـــود الخُضْـــر

تمـــيس فيهـــا والعقـــود الصُّـــفْر

وتـــــارةً بـــــين العقـــــود الحمـــــر

أو فـــي العقـــود السُّـــود فـــوق النحْـــر

تلـــــك هـــــي (النخلـــــة) ذات الطهـــــر

فـــــلا تلمنـــــي فـــــي هواهـــــا العُـــــذْري

ففي هذه الأبيات يصف شاعرنا (نخلة)[١] من نخيل الريف المصري، وقد بدت بين مثيلاتها من النخيل بين الربى والنهر.

وقد استطاع الأسمر بروعة ألفاظه، وسلاسة أساليبه، وحسن تصويره، أن يبرز (النخلة) في لوحة فنية بديعة، خلع فيها على (النخلة) صفات الأحياء، فهي واقفة بين لدات عشر، وهي (عارية لم تستتر بستر)، وقد أرسلت شعرها الجميل، وصاحبنا قد أحبها منذ زمن بعيد، فهي تلهمه أروع القصيد وأجوده.

وهو يزورها صباحاً وظهراً ومساءً؛ لأنه يحبها حباً عذرياً، لا يبالي فيه بافتضاح سره، واطلاع الناس على أمره.

ويعجب الشاعر بثمار هذه النخلة في كل حالاته، سواء أكان عقوداً خضراً، أم صفراً، أم حمراً، أم سوداً.

ولعلنا نلحظ ما تتسم به الأبيات من رقة الألفاظ، وإشراق الأساليب، وقوة العاطفة، وروعة التصوير، مما ينم عن اتساع الشعور والخيال، وصدق المشاعر والأحاسيس، والقدرة على التعبير عما تختلج به نفسه، وينبض به قلبه في صدق ووضوح.

---

(١) النخلة : شجرة من الفصيلة النخلية، كثيرة في بلاد العرب، لاسيما الحجاز والعراق ومصر، ويزرع النخل لثمره المعروف بالبلح والتمر، أو للزينة، وجمعها: نخل ونخيل.

الأزهار:

الأزهار عيون الروض، ودليل الحب، ورمز الوفاء، ومصدر سرور للنفس، وتختلف الأزهار شكلاً ولوناً وشذى، ولكل زهرة أثرها في إمتاع الحواس، وإنعاش النفس.

وحب الأسمر للزهر حب أصيل، وعشقه لها عشق عميق، ومن ثم فقد وصف الأزهار في شعره وجاء وصف الأزهار – عنده – ممتزجاً بكثير من موضوعات شعره.

فهو – مثلاً – لا يجد أجمل من زهرة (النرجس) يشبه بها النجم الذي يتجلى في الآفاق ليبدّل ظلام الليل نوراً ساطعاً يضيء كل الأرجاء، كما يقول الشاعر في قصيدته (فرحة العيد)[١]:

أشـــــرقت مصـــــر بعيـــــد (الملـــــك)

فالـــــدجى مثـــــل النهـــــار المشـــــمس

يتجلـــــى فيـــــه نجـــــم الفلـــــك

وهـــــو فـــــي الآفـــــاق زهـــــر النـــــرجس[٢].

وفي قصيدته (إلى الإسكندرية) يزور الأسمر داراً لأم أنجبت ثلاث عذارى فأدبتهن صغاراً، ورعتهن أحسن رعاية كباراً، فلا يجد الشاعر أدق من أن يشبهها بروض أنبت الأزهار، وأفق أطلع الأقمار، يقول [٣]:

---

(١) ديوان الأسمر – ص١٧ .

(٢) النرجس : نبت من الرياحين، وهو من الفصيلة النرجسية، ومنه أنواع تزرع لجمال زهرها، وطيب رائحتها، وزهرته تشبه بها الأعين.

(٣) بين الأعاصير – ص١٦٣ ، ١٦٤ .

وذهبنـــــــــــا نـــــــــــزور داراً لأم

بـــــــرة أنجبـــــت ثـــــلاث عـــــذارى

أدبـــــــتهن حـــــين كُـــــنّ صـــــغاراً

ورعـــــــتهن بعـــــــد ذاك كبـــــــارا

فهـــــي كـــــالروض أنبـــــت الأزهـــــارا

وهـــــي كـــــالأفق أطلـــــع الأقمـــــارا

المائيات:

الماء حياة كل حي، قال تعالى[١] :﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ المآء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾ وقال[٢]: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً**﴾.

والمياه بأنواعها كانت مصدر إلهام للشعراء القدامى، هاموا بها، وتتبعوا ينابيعها، يظعنون في إثرها، ويشعلون الحروب من أجل امتلاكها.

وقد عاش محمد الأسمر في بيئة غنية بمصادر المياه، من سحب وأمطار، وما يتخللها من رعد وبرق يخطف الأبصار، ومن جداول وأنهار وبحار، روت زرعها، وبها اخضرت أرضها، فبدت يكسوها السندس الأخضر، يمتع العيون، ويسر الناظرين.

---

(١) سورة الأنبياء – من الآية ٣٠ .

(٢) سورة الحج – من الآية ٦٣ .

وقف شاعرنا أمام هذه المشاهد وقفات طويلة، وتغنى فيها بأرق الأشعار التي تنبئ عن ذوق راق، وحس رقيق، وشعور مرهف بالجمال.

ولم يكن محمد الأسمر في وصفه لمصادر المياه من سحب وأمطار وبحار وأنهار وجداول منفصلاً عن التراث الشعري القديم، ولم يقطع صلته بأسلافه، مع بعض الاختلاف في وصفها وتصويرها، إذ لم يجعل موارد المياه وحدها بغيته كما فعلوا، وإنما امتزج بها، وألقى بهمومه في أمواجها، فشاركته آلامه وآماله، وأحزانه وأفراحه.

وقد وصف محمد الأسمر كثيراً من المائيات، كنهر النيل، والبحر الأبيض المتوسط، والبحر الأحمر، والأمواج، والسحب والأمطار.

نهر النيل:

لم يكن لشاعرنا أن يجحد فضل (نهر النيل)، وما يضفيه هذا النهر على الطبيعة المصرية من سحر خلاب، ومن ثم فقد هام بالنيل، وفتن بجماله الساحر، فهو رمز الجمال في مصر، وشريان الحياة في وادي النيل.

يقول الأسمر في قصيدته (في النيل)[١] يصف منظراً للنيل في المكان المعروف في القاهرة باسم الجزيرة:

حبـــذا النيـــلُ والـــزوارقُ فيـــه

راقصـــاتٌ بمـــن عليهـــا مـــواجنُ

وكـــانّ الســـماء لجَّـــة مـــاءٍ

وكـــأنّ الســـحاب فيهـــا ســـفائن

(١) ديوان الأسمر – ص٥٧٨ .

منظـــرٌ زاده علـــى الحســـن حســـناً

مغـــربُ الشـــمس فـــي نخيـــل الجنـــائن

لـــو تراهـــا والليـــلُ يتبعهـــا بـــا

ن لـــك الأمـــرُ عـــن مـــدين ودائـــن

لا يـــزالان هكـــذا أبـــد الـــده

ر يمـــران بـــالقرى والمـــدائن

ففي هذه الأبيات يصف شاعرنا منظراً جميلاً للنيل، حيث الزوارق راقصات فيه بمن عليها من الراكبين، إنه منظر جميل من مناظر الجمال والحسن، وقد زاد هذا المنظر جمالاً وحسناً منظر السماء التي تبدو وكأنها لجة ماء، والسحاب فيها سفن جاريات، كما زاد هذا المنظر حسناً على حسن مغرب الشمس وهي تتدلى في نخيل الحدائق والبساتين، والليل يزحف نحوها فيغلف الكون بظلامه كما لو كان دائناً يتعقب المدين ويطارده.

وكثيراً ما احتلّ (النيل) مطالع قصائد الأسمر، كما في قصائده (أنشودة للسلام الملكي)[١]، (في دار الشيخ المراغي)[٢]، (في عيد الجهاد الوطني)[٣]،

(١) ديوان الأسمر – ص ١٨ .

(٢) ديوان الأسمر – ص ٢٠ .

(٣) ديوان الأسمر – ص ٢٣ .

(جسر إسماعيل)[١]، (مصر الخالدة)[٢]، (نداء الشهداء)[٣]، (بكاء دجلة)[٤]، وغيرها.

البحر الأبيض المتوسط:

وفي قصيدته (بورسعيد) يرسم الأسمر لوحة فنية تعبر عن جمال (البحر الأبيض المتوسط) في هذه المدينة الساحلية، حيث الأمواج تترامى على الشاطئ كترامي الأطفال في أحضان آبائهم، والأصيل يرسل أشعته الصفراء، فكأنها مصابغ الزعفران، والنسيم رقيق ساحر كما لو كان خمراً رائقة صافية.

إنه منظر جميل يشرح الصدور، ويمتع العيون، ويجلب للنفس السعادة والسرور.

يقول الشاعر [٥] :

وتـــــرى المـــــوج فوقهـــــا يترامـــــى

كترامـــــي الأطفـــــال فـــــي الأحضـــــان

لـــــو تـــــرى لمحـــــة الأصـــــيل عليـــــه

خلـــــت فيـــــه مصـــــابغ الزعفـــــران

---

(١) ديوان الأسمر – ص ٥٢ .

(٢) بين الأعاصير – ص٤٧ .

(٣) بين الأعاصير – ص٥٧ .

(٤) بين الأعاصير– ص٩٥ .

(٥) ديوان الأسمر – ص ٥٦٣ .

وكـــأن النســـيم فـــي ســـاحل البحـــ

ـــر يعاطيـــك صـــفو مـــا فـــي الـــدنان

خيـــر مـــا يشـــرح الصـــدور ويســـعى

بـــــــالفتى والفتـــــــاة للرّيعـــــــان

وتمتاز الأبيات بجزالة الألفاظ ووضوحها، وسلاسة الأساليب وإشراقها، وروعة التصوير، وجمال الموسيقى.

البحر الأحمر:

ويضفي الأسمر على (البحر الأحمر) صفات الأحياء، فهو يشتاق، ويحنّ، ويسرّ، ويغضب، كما في هذه الأبيات التي يصور فيها (البحر الأحمر) مسروراً مبتهجاً بركوب الملك له، وقيادته (اليخت) بنفسه فيه.

يقول الشاعر [١] :

الأراضـــــــي جميعهـــــا والبحـــــار

فـــــي اشـــــتياق إليـــــك والأنهـــــارُ

ثـــورة (الأحمـــر) الخضـــمّ ابتهـــاجٌ

وســـــرورٌ، لا غضـــــبة ونفـــــارُ[٢]

---

(١) ديوان الأسمر – ص ٢٥ .

(٢) الخضم : البحر الواسع .

هـــام لمـــا رآك فهـــو لـــدى (الـــيخ

ت) يحييـــــكَ موجـــــهُ الزخّـــــارُ[١]

فالـــذي كـــان لـــيس شـــيئاً ســـوى الـــح

ب، وناهيـــــك أن تحـــــبّ البحـــــار

ولعلنا نلحظ أن شاعرنا قد استطاع بذكائه وفطنته أن يوظف مظاهر الطبيعة في حالاتها المتنوعة؛ لخدمة أغراضه الشعرية، فقد جعل ثورة البحر وهياجه تعبيراً عن سروره وابتهاجه على أن الأمر – في حقيقته – على العكس من ذلك تماماً، فثورة البحر وهياجه إنما هي تعبير عن غضبه وغيظه.

وقد سُئل بعض علماء الشعر: من أشعر الناس؟ قال: الذي يصور الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، بلطف معناه، ودقة فطنته، فيقبح الحسن الذي لا أحسن منه، ويحسن القبيح الذي لا أقبح منه) [٢].

الموج:

ويبدو أن أكثر ما كان يروق صاحبنا في البحر أمواجه، فقد كثر وصف الأمواج في شعره، كما في قوله في قصيدته (صيف مصر ومصطاف رأس البر)[٣]:

---

(١) الموج الزخار : الممتد المرتفع .

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه جـ٦ ، ص١٨٤ – تحقيق الدكتور/ عبد الحميد الترحيني – دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣) ديوان الأسمر – ص ٣١٨ .

ولــو تــرى المــوج فــوق البــرّ مرتميــاً

ظننـــت أن فحـــولاً هاجهـــا الغضـــبُ[١]

مزمجـــر أبـــداً، والكثـــبُ مصـــغية

فمـــا يقـــول؟ ومـــاذا تســـمع الكثـــب؟[٢]

يظـــل يزحـــف نحـــو البـــر ذا حنـــق

وينثنـــي، ولـــه فـــي القـــاع مُنقلـــبُ[٣]

تلـــك الطبيعـــة فـــافتح مـــن صـــحائفها

واقـــرأ هنالـــك مـــا لـــم تحـــوه الكتـــب

ففي هذه الأبيات يضفي الشاعر على الأمواج صفات الأحياء، ويرسم لها لوحة فنية وهي تترامى على البر، حيث يخيل لمن يراها أنها فحول غاضبة ثائرة تصيح وتزمجر بصوت عال، والرمال تصغي لها، وتسمع ما تقول، وإن كنا لا نعرف على وجه الدقة ما تقول الأمواج، أو ماذا تسمع الرمال.

ويظل الموج يزحف نحو البحر وقد بدا عليه الغيظ الشديد، ثم ينثني ليعود منقلباً في قاع البحر.

---

(١) هاجها الغضب : أثارها .

(٢) الكثب : يقصد الرمال .

(٣) الحنق : الغيظ .

الكونيات

ونقصد بالكونيات : الليل والنهار، والشمس والقمر، والضياء والظلام، والنجوم والكواكب، وما إليها، بالإضافة إلى الكونيات الأرضية من جبال وصحاري، ورمال ومنازل.

وهذه الكونيات جميعها من مظاهر الطبيعة الصامتة (الساكنة)، وهي أكثر مظاهر الطبيعة التي لجأ إليها شعراء الرومانسية في العصر الحديث، يبثونها آلامهم وأحزانهم، ويودعونها أسرارهم، حيث لا تبوح الطبيعة بالأسرار.

وقد عرف شعراء العرب القدامى تلك الكونيات، وتناولوها بالوصف والتصوير، وجردوا منها شخوصاً خاطبوها، وأضفوا عليها صفات الأحياء عن طريق بعض صور البيان من تشبيه واستعارة.

وبتتبع شعر محمد الأسمر تبين أن شاعرنا تميز في وصفه للكونيات عن كثير من شعراء عصره، حيث استطاع – نتيجة التعاطف والمشاركة الوجدانية بينه وبين هذه المظاهر الكونية – أن ينفذ إلى أعماق هذه الكائنات، وأن يستنطقها، ويصيخ إليها، متأملاً مستلهماً ما تفضي به إليه من أسرار.

كما تبين – باستقراء شعره – أن الأسمر قد وصف مظاهر الطبيعة الكونية في إفاضة، فشعره فيها كثير، وحديثه عنها غزير، دواوينه غاصة بوصف الكثير من هذه المظاهر الكونية كالشمس، والقمر، والليل، والنجوم، والكواكب، والفجر، والصبح، والضحى.

كما سنوضح فيما يلي:

الشمس:

الشمس من آيات الجمال الكوني، ولها – كغيرها من الآيات الكونية روعة ومنزلة في القلب البشري، وقد أطال الجاهليون النظر إليها، وكانت موضع إعجاب، ومصدر إلهام لكثير من الشعراء، فالشمس باعثة النور والضياء، ومصدر الحياة على الأرض، ومن ثم فهي لا تخفى على أحد، كما يقول أمية بن أبي الصلت(١):

فهـــل تخفـــى الســـماء علـــى بصـــير؟

وهـــــل بالشـــــمس طالعـــــة خفـــــاء؟

والشمس لها نصيب كبير في وصف الأسمر، فقد احتلت مساحة كبيرة في شعره الوصفي، إذ كانت في وجدانه وبين جوانحه في شروقها وفي غروبها، بل إن شئت فقل: في كل حالاتها وأشكالها.

نجد ذلك في كثير من قصائده، لعل من أبرزها قصيدته (الشمس)، وهي قصيدة طويلة بلغت خمسين بيتاً، وصور فيها الشمس في أكثر حالاتها.

- ١ –

فقد وصف الأسمر الشمس في شروقها مضفياً عليها صفات الأحياء، فهي تشرق من خدرها بعد أن ترسل الفجر بشيراً، ثم تمشي في هدوء تملأ الأفق نوراً، ما أعظمها من جمرة موقدة تنبت في الأرض الزهور، إنها نار تمشي فوقنا أنبت الله بها الزرع النضير.

(١) شعراء النصرانية – ص٢١٠ – جمع وتحقيق: لويس شيخو، الطبعة الرابعة – دار الشروق – بيروت – لبنان.

يقول الشاعر [١] :

أشـــرقـــت شـمس الـضـحى من خـدرهـــا

بعـــــدما أرســـــلت الفجـــــر بشـــــيرا[٢]

رفعـــــت أســـــتارها ثـــــم مشـــــت

فـــــي هـــــدوء تمـــــلأ الآفـــــاق نـــــورا

يـــــا لهـــــا مـــــن جمـــــرة موقـــــدة

لـــم تـــزل تنبـــت فـــي الأرض الزهـــورا

إنهـــــا نـــــار مشـــــت مـــــن فوقنـــــا

أنبـــــت الله بهـــــا الـــــزرع النضـــــيرا[٣]

- ٢ -

والشمس صانعة السحب التي نراها في السماء، فهي ترسل حرارتها على مياه البحر، فتتبخر وتتصاعد إلى السماء في صورة خيوط غزلتها الشمس، ونسجتها في هدوء، ولونت هذا الغزل، فبدا في الأفق شيئاً عجيباً، وكأن الشمس – بهذا – إنما تصنع لها ثياباً من مياه البحر وأمواجه.

---

(١) ديوان (بين الأعاصير) لمحمد الأسمر – ص١٠٣.

(٢) الخدر : الستر ، وجارية مخدرة : إذا لزمت الخدر.

(٣) زرع نضير : أي ذو رونق وبهجة .

يقول الأسمر [١] :

غزلـــتْ مـــن لجـــة البحـــر بخـــارا

صـــــاعدا علـــــى الأرض عبابـــــا[٢]

غزلتـــه فـــي هـــدوء ، ثـــم راحـــت

فـــي هـــدوء تنســـج الغـــزل ســـحابا

غزلتـــــــه، نســـــــجته، لونتـــــــه

فبـــدا فـــي أفقـــه شـــيئاً عُجابـــا

كـــل يـــوم تصـــنع الشـــمس لهـــا

مـــن عبـــاب البحـــر غـــزلاً وثيابـــا

- ٣ -

والشمس كالدنيا في توالي أحداثها وتكررها، فالسحب التي صنعتها الشمس لا تلبث أن تسقط على الأرض، وتعود إلى البحر مرة أخرى، وتقوم الشمس إلى غزلها ونسجها من جديد.

إنه منظر متكرر، وحلقة متصلة، لا تقف عند غاية، ولا تنتهي إلى نهاية.

---

(١) بين الأعاصير – ص١٠٣ .

(٢) لجة البحر : معظمه ، والعباب : ارتفاع الموج واصطخابه.

فالشمس صورة للدنيا عند من تأملها، بل إن ما تصنعه الشمس عبث متصل يشبه إلى حد كبير عبث الأطفال، حيث يلهون ويلعبون، كما يقول الأسمر[١]:

وتعـــود الســـحب نحـــو البحـــر مـــاء

ويعـــــود الغـــــزل والنســـــج لهـــــا

دورة لا تنتهـــــــــــــي، آخرهـــــــــــا

بعـــــد حـــــين راجـــــع أولهـــــا

وهـــــي للـــــدنيا جميعـــــاً صـــــورة

تتـــــوالى عنـــــد مـــــن حللهـــــا

يـــــا لـــــه مـــــن عبـــــث متصـــــل

عبـــــث الطفـــــل إذا الطفـــــل لهـــــا[٢]

القمر:

وكما خص محمد الأسمر (الشمس) ببعض شعره الوصفي، فوصف شروق الشمس، وغروبها مضفياً عليها صفات الأحياء، وصورها على أنها ضياء الكون، وصانعة السحب التي نراها في السماء، وأنها صورة للدنيا في

(١) بين الأعاصير – ص ١٠٣ ، وانظر ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) لها الطفل بالشيء يلهو : لعب.

توالي أحداثها وتكررها، كما أنها لا تتوانى عن القيام بدورها على مر السنين والقرون، كذلك خص الأسمر (القمر) ببعض شعره الوصفي.

والقمر مظهر من مظاهر الطبيعة الكونية، يمتاز بنوره اللطيف الخفيف، الرائق الصافي، تغنى به الشعراء ووصفوه منذ القدم، وشبهوا به الحسن النير الجميل.

يقول الأعشى [١] :

حكمتمـــــــوني فقضـــــــى بيـــــــنكم

أبلـــــج مثـــــل القمـــــر البـــــاهر[٢]

والقمر يولد (هلالاً)، ويأخذ في النمو حتى يصبح (بدراً).

وقد وصف شاعرنا (الهلال) في مقطوعته (الهلال بالمصطاف)، يقول [٣]:

غابـــت عـــن المصـــطاف شـــمس نهـــاره

فـــي ثـــائر غضـــبان لـــيس بهـــادئ[٤]

وجـــلا الظـــلام لنـــا شموســـاً غيرهـــا

مـــن كـــاملات فـــي الســـنا ونواشـــئ

---

(١) ديوان الأعشى – ص٩٢ – شرحه وقدم له: محمد ناصر الدين – دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) الأبلج : النير الواضح .

(٣) ديوان الأسمر – ص٣٢٢ .

(٤) إشارة إلى غروب الشمس ، وهي كأنها تغرب في ماء البحر.

لمـــا طلعـــن علـــى (الـــبلاج) تركنـــه

صـــبحاً رنـــا نحـــو المغيـــب كهـــازئ

وبـــدا (الهـــلال) علـــى المصـــيف كأنمـــا

هـــو بســـمة فـــي أفقـــه للشـــاطئ

ولعلنا نلحظ أن الشاعر قد وصف (الهلال) وصفاً حسياً، فهو ليس أكثر من بسمة في أفق المصيف.

وللبدر سحر ورنين ، إنه سحر الطبيعة النيرة الهادئة، وله جاذبية تمتلك النفوس، وتستولي على العقول.

النجوم:

النجوم : أجرام سماوية مضيئة بذاتها، ومواضعها النسبية في السماء ثابتة.

وقد أقسم الله – سبحانه وتعالى – بالنجم في قوله:﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى** ﴾(١).

وللنجوم مكانة عند العرب، حيث يهتدى بها الساري، ويستضيء بنورها الحائر الضال، وهي من نعم الله على خلقه،﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ** ﴾(٢).

وقد وصفها الشعراء الجاهليون، كما في قول امرئ القيس (٣):

---

(١) سورة النجم – الآية ١ .

(٢) سورة الأنعام – الآية ٩٧ .

(٣) ديوان امرئ القيس – ص٣١ .

نظـــــرت إليهـــــا والنجـــــوم كأنهـــــا

مصـــــابيح رهبـــــان تُشَـــــبُّ لقفَّـــــال[١]

وقد وصف محمد الأسمر (النجم) السابح في السماء يضيء غياهب الظلام، ويهتدي به الحائرون، فحين يقبل الليل لا ترى شمساً ولا صبحاً، لا ترى إلا الظلام الذي يغرق فيه الكون أجمعه، وحينذاك يبدو (النجم) وقد طفا وعام في لجة الظلام، ولا يزال يسبح هارباً – بسبحه – من النوم إلى أن يبدو نور الصباح.

يقول الأسمر[٢]:

أقبـــــل الليـــــلُ، فـــــلا شـــــمس، ولا

صـــبح، لا شـــيء ســـوى بحـــر الظـــلامْ

غـــــرق الكـــــونُ بـــــه أجمعـــــهُ

وطفـــــا فـــــي لجِّـــــه الـــــنجمُ وعـــــامْ

لـــــم يـــــزل يســـــبح فيـــــه جاهـــــداً

هاربـــــاً بالســـــبح مـــــن وجـــــه المنـــــامْ

فـــــإذا مـــــا ســـــاحلُ الصـــــبح بـــــدا

وصـــــل الـــــنجمُ إليـــــه بســـــلامْ

---

(١) القُفَّال : جمع قافل ، وهو العائد من سفره .

(٢) ديوان الأسمر – ص٥٦٥ .

ولعلنا نلحظ أن شاعرنا – في هذه الأبيات – يضفي على موصوفاته صفات الأحياء، فالليل يقبل، وظلام الليل بحر يغرق فيه الكون كله، والنجم يطفو ويعوم سابحاً في بحر الظلام، ثم إنه لا يزال يسبح هارباً من النوم، فإذا ما نور الصبح بدا ذاب فيه، وكأنه قد وصل إلى مقره.

ومن هنا يمكننا أن نقول: إن مظاهر الطبيعة الكونية تتجلى لشاعرنا على أن لها قلباً نابضاً، وحياة تتدفق في أعطاف هذه الكائنات.

الكواكب:

وهي أجرام سماوية تدور حول الشمس، وتستضيء بضوئها.

وقد وصف الأسمر (الكواكب) في قوله[١] :

خيـــر الكواكـــب مـــا أهـــدى أشـــعته

للمـــدلجين ، إذا جـــنّ الـــدجى ســـطعا[٢]

وبعضـــها فـــي عـــلاه لا ضـــياء لـــه

فلـــيس يجديـــه شـــيئاً أنـــه ارتفعـــا[٣]

فكأن الشاعر يجعل قيمة الكوكب في مدى نفعه، فخير الكواكب شأنا ما أسدى نوره للسائرين واهتدى به الحائرون.

---

(١) بين الأعاصير – ص ١٣٣ .

(٢) المدلج : من سار الليل كله ، جن الدجى : أطبق الظلام .

(٣) يجديه : ينفعه ويرفع من شأنه .

الليل:

وكما وصف الأسمر الشمس، والقمر، والنجوم، والكواكب، فقد وصف (الليل).

فالليل – في شعره – ظلام وسكون ووحشة، ونوم، بل إن شئت فقل إنه موت؛ إذ تصير الدور في الظلام قبوراً لحطام الناس ورفاتهم، كما يقول الأسمر في قصيدته (الليل)[١]:

أقبـــــل الليـــــل ونـــــام العـــــالم

فكـــأن لـــم تـــك فـــي الأرض حيـــاةٌ

ومضـــــى يفعـــــل بالنـــــاس الكـــــرى

مثلمـــــا يفعـــــل بالنـــــاس الممـــــاتْ[٢]

هـــــذه الـــــدور قبـــــور فـــــي الـــــدجى

والـــــورى كلهـــــم فيهـــــا رفـــــاتْ[٣]

أي شـــــيء أنـــــت يـــــا نـــــوم، فـــــلا

أنـــــت عـــــيش، لا، ولا أنـــــت وفـــــاةٌ

---

(١) ديوان الأسمر – ص٥٦٥ .

(٢) الكرى : النعاس .

(٣) الورى : الخلق ، والرفات : العظام .

الفجر:

كما وصف الأسمر من مناظر الطبيعة الكونية (الفجر) في قوله[١]:

أقبـــــل الفجـــــرُ، فمـــــا أروعـــــه

خارجـــاً مـــن قفـــص الليـــل البهـــيم

هـــو ديـــك نـــبش الظلمـــاء نبشـــا

ومضـــــى يلقـــــط حبـــــات النجـــــوم

لا يُبـــــــالي حينمـــــــا يأكلهـــــــا

بثريـــــــات تغـــــذى أم رجـــــــوم[٢]

يـــا لـــه ديكـــاً جريئـــاً لـــم يـــزلْ

عابثـــاً بـــالنجم مـــن عهـــد قـــديم

يقول الشاعر :

ما أرع الفجر في إقباله وضيائه، إنه يخرج من سجن الليل الحالك الظلام، ويجعل الشاعر الفجر (ديكاً) نبش ظلام الليل، وأخذ يلقط حبات النجوم، فيأكلها واحدة إثر واحدة.

---

(١) ديوان الأسمر – ص ٥٦٦ ، ٥٦٧ .

(٢) ثريات : المراد النجوم . والرجم : الرمي بالحجارة . والرجم والرجام: حجارة ضخام دون الرضام.

الصبح:

كما وصف الأسمر (الصبح) أيضاً، كما في قوله [١]:

انظـــــر الشـــــمس فهـــــذا قرنهـــــا

نطـــــح الليـــــل فـــــولى فزعـــــا

لا تـــــــرى إلا صـــــــباحاً مُقـــــــبلاً

وظلامـــــــاً هاربـــــــاً مُمتقعـــــــا[٢]

طفـــــق العـــــالمُ يســـــعى بعـــــدما

نـــام فـــي جـــوف الـــدجى واضـــطجعا

ليـــت شـــعري مـــا الـــذي صـــاح بـــه

وهـــو فـــي جـــوف الكـــرى فاســـتمعا

إذا كان الليل ظلاماً ، ونوماً ، وسكوناً، فإن الصبح نور وحياة وحركة، وسعي، وظهور قرن الشمس.

فإن الشمس إيذان برحيل الظلام وإقبال النهار، فتبدأ حركة الأحياء بعد نوم ليل طويل.

ولعلنا نلحظ أن شاعرنا قد صور الشمس فحلاً ضخماً ينطح بقرنه الليل المظلم، فيولي هارباً فزعاً، ويتغير وجه الظلام ويمتقع لونه.

---

(١) ديوان الأسمر – ص ٥٦٧ .

(٢) امتقع لونه (بالبناء للمجهول) تغير من حزن أو فزع أو ريبة.

الضحى:

كما وصف الأسمر (الضحى) فجعله (ذهباً) يغطي وجه الأرض مكوناً بساطاً ذهبياً (أصفر اللون) مترامي الأطراف.

يقول الأسمر [١] :

والضـــحى عسْـــجدٌ يســـيلُ علـــى رمْـــ

ـــــل ترامـــــى بســـــاطة ذهبيـــــاً[٢]

هكذا وصف الأسمر مظاهر الطبيعة الكونية كالشمس، والقمر، والنجوم، والكواكب، والليل، والفجر، والصبح، والضحى، وجرّد منها شخوصاً خاطبها، وخلع عليها صفات الأحياء عن طريق صور البيان من استعارة وتشبيه وما إلى ذلك.

ولعلنا نلحظ أن الشاعر في وصفه لمظاهر الطبيعة الكونية لا يهتم بالشكل وحده، وإنما يهتم اهتماماً كبيراً بإبراز اللون، كما رأينا في أكثر النماذج التي ذكرناها.

الفصليات:

ما من شك في أن الحديث عن فصول السنة وثيق الصلة بوصف الطبيعة الصامتة، فلكل فصل سماته الجمالية التي تمتع الحواس لدى الإنسان، ولكل فصل طعمه وأريجه.

---

(١) بين الأعاصير – ص ص١٦٣ .

(٢) عسجد : ذهب .

وقد تناول الشعراء القدامى الفصول تناولاً محدوداً، إذ تحدثوا عنها في بعض جزئياتها، حسبما أتيح لهم من مواهب وثقافة وتجارب.

وفي العصر العباسي نضجت العقول، واستنارت الأفكار، واتسعت المدارك والأفهام، واتسعت ميادين الخيال، ومجالات الوصف والتصوير، ومن ثم بدأت تظهر أشعار تصف الربيع ومظاهر الجمال والبهجة فيه، وذلك على يد كبار الشعراء العباسيين، كأبي نواس، وأبي تمام، والبحتري، والصنوبري، وغيرهم...

وقد تحدث الشاعر محمد الأسمر عن (الفصول)، وصور بعضها تصويراً جيداً، وإن كان في معظم وصفه يبدو تأثره الواضح بالشعراء العرب القدامى، لاسيما في العصر العباسي.

فقد وصف الأسمر فصل الربيع، كما وصف الشتاء والصيف.

الربيع:

الربيع فصل الجمال والبهجة، فيه تكتسي الطبيعة أبهى الحلل، إذ تورق الأشجار، وتتفتح الأزهار، وتغرد الأطيار أحلى الألحان.

فالسماء صافية، والشمس مشرقة، والجو جميل، والنسيم عليل، والمناظر تمتع العين، وتنعش النفس والروح.

ومن هنا كان الربيع هو الفصل الذي يحفز قرائح الشعراء إلى الإبداع، والإتيان بروائع القصيد.

وقد تغنى محمد الأسمر بالربيع، ووصف ما فيه من جمال وبهاء وفتنة.

فالربيع – عنده – مظهر من مظاهر الجمال في الطبيعة، إنه ملك الفصول، قد جاء في موكبه المزخرف الساحر، يكسو الربى برداء أخضر ناضر، فتبدو فيه الرياض وقد تزينت وتنسقت، ولبست حللها الموشية المزخرفة، التي تسحر العيون، وتأخذ بالألباب.

والربيع – عند الأسمر – طاووس أيام الحياة، قد بسط ريشه المنسق على الأزهار والأشجار والربى، فكساها عشباً وخضرة.

يقول الأسمر [١] :

جـــاء الربيـــع منضّـــداً ، ومنضّـــراً

هـــام الربـــى، ومُضـــمخاً، ومُعطّـــراً[٢]

ملـــك الفصـــول مشـــى يجـــرُّ ذيولـــه

مَوْشـــيَّة بالســـحر فتنـــة مـــن يـــرى[٣]

طـــاووسُ أيـــام الحيـــاة، وريشـــه

تلـــك الزهـــور مُـــدرهَماً ومُـــدثرا

والطبيعة تبتهج لمقدم الربيع، وتسر به، فتستقبله وقد لبست حليها من الزبرجد الخالص والعقيق الأحمر.

وما أروع الأصيل في فصل الربيع، إنه ينساب على الأزهار والربوات فيغمرها شعاعه ذو البريق الأصفر، فتبدو وكأنها قد اكتست حللاً من الذهب الخالص.

أما الرياض فتنشر أريجها وعطرها يفوح عنبراً ومسكاً يسري في كل الأرجاء، ويعم كل مكان، وتنتشي الطيور، فتنتقل من شجرة إلى شجرة، ومن غصن إلى غصن فرحة مغردة، حتى ليخيل للرائي أن هذه الأغصان ليست إلا مزاهر وآلات طرب تعزف أعذب الألحان.

---

(١) ديوان الأسمر – ص ٥٨٤ .

(٢) نضد : نسق ، وضمخ جسده بالطيب : إذا وضعه عليه .

(٣) وشى الثوب : حسنه وزينه بالألوان ونقشه .

فالربيع حسنٌ أطلّ على الكون، وغمره بجماله وبهائه، فلا ترى فيه إلا الجمال الباهر، والمنظر الرائع.

يقول الأسمر[١] :

لبســـت لمقدمـــه الطبيعـــة حليهـــا

حـــرّ الزبرجـــد والعقيـــق الأحمـــرا[٢]

وجـــري الأصـــيلُ علـــى الأزهـــارا والرُّبـــى

صـــنع اليـــدين مرقشـــاً ومعصْـــفرا[٣]

وتنفســـت كـــلّ الريـــاض فأرجـــت

أرجاءهـــا مســـكاً يفـــوح وعنبـــرا

وترنمـــت فـــوق الغصـــون طيورهـــا

حتـــى حســـبنا كـــلّ غصـــن مزهـــرا[٤]

حُسْـــنٌ أطـــلّ علـــى الوجـــود فـــلا تـــرى

إلا جمـــالاً بـــاهراً أنّـــى تـــرى

---

(١) ديوان الأسمر – ص ٥٨٤ .

(٢) حر الزبرجد : الزبرجد الخالص وهو من الجواهر .

(٣) العصفر : صبغ ، تقول عصفر الثوب فتعصفر. والرقش: كالنقش. ورقش الشيء: زوقه وزخرفه. وحية رقشاء فيها نقط سواد وبياض.

(٤) المزهر : العود ، وهو من آلات الطرب .

هكذا وصف الأسمر (الربيع)، وقد بث فيه الحياة والإحساس والتأثير، ونفث فيه من شعوره وإحساسه بجمال الطبيعة وبهائها في الربيع.

فالربيع ملك الفصول جاء يجر ثيابه المزخرفة، وهو طاووس أيام الحياة بسط ريشه على الطبيعة، فبدت مزدانة بالخضرة، والألوان الزاهية، واكتست الأرض ثياباً منمقة من النبات المزهر، وغردت الأطيار على الأغصان حتى صار كل غصن مزهراً يعزف أعذب الألحان.

وقد وصف الأسمر (الربيع) بألفاظ تفيض رقة وعذوبة، وأساليب سلسة مشرقة تنبعث منها موسيقى رائعة.

الشتاء:

إذا كان الربيع بهجة ، وحيوية ، وخضرة ، وانطلاقاً ، ومرحاً، وأنغاماً، فإن الشتاء برد وغيوم، وأمطار، ووحل، وقد وصف الأسمر برد الشتاء في مصر، حيث يقول في قصيدته (برد الشتاء)[١]:

يا لك من برد شتاء بارد
ينساب في الأجسام كالأساود [٢]
كأنه الماضي من المبارد [٣]
يهزأ حتى بالحديد الجامد
إن زدت في الدفء أتى بزائد

---

(١) ديوان الأسمر – ص ٥٨٢ .

(٢) الأساود : الحيات .

(٣) الماضي : القاطع ، والمبارد : جمع مبرد وهو أداة بها سطوح خشنة تستعمل لتسوية الأشياء أو تشكيلها بالتآكل والسحل.

من لفحه كالشكس المعاند (١)
التارك الأجسام كالجلامد (٢)
والتارك السائل بعض الجامد
أثقلُ من ضيف لديك قاعد
يدير في دارك عين الحاسد
يأكل ما يأكل غير حامد

يصف الأسمر الشتاء وما يبعثه في الطبيعة من (برد) يعاني منه الإنسان والحيوان والنبات، حيث إن البرد ينساب في الأجسام سماً قاتلاً كأنه الحيات السامة، ويأكل الأجساد كأنه المبارد القاطعة النافذة.

إنه يهزأ بكل شيء حتى بالحديد الجامد، ولا يجدي معه دفء، ولا مواقد، فكلما ازددت دفئاً آتاك بزائد البرودة.

إنه يلفح ويؤذي كأنه الرجل السيء الأخلاق، الصعب المعاملة، إنه لا يترك الجسم حتى يصير جماداً، ويحيل السائل إلى جامد.

وبرد الشتاء ثقيل على النفس، فهو أثقل من ضيف ثقيل، أطال المكث عندك، يحسدك على نعمتك، ويجحد فضلك.

الصيف :

أما الصيف، فهو حرّ، وقيظ، وعواصف، وزوابع، وكدرة في الأفق، ورمال وتراب وعرق، وسأم.

---

(١) شكس شكساً وشكاسة : ساء خلقه. والشكس: الصعب الخلق، وفي التنزيل العزيز: (فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ) أي: مختلفون، عسرو الأخلاق.

(٢) الجلامد : الصخور.

وقد وصف محمد الأسمر (صيف مصر) فقال [١]:

يـــــوم بمصـــــر إذا هبـــــت ســـــمائمهُ

هبَـتْ كمـا هـب مـن جـوف اللظـى لهـبُ[٢]

كأنمـــا مصـــرُ أتُـــونٌ ونحـــن بهـــا

لفـرط مـا نصـطلي مـن حرّهـا حطـب[٣]

لا تبصـــر العـــينُ فيهـــا غيـــر ســـافية

مـــن الـــريح لهـــا فـــي ســـيرها صـــخبُ[٤]

تـــأوي الطيـــور إلـــى أوكارهـــا فرقـــا

منهـــا، ولا وكـــر إلا وهـــو يضـــطربُ[٥]

والجـــوُّ مصـــفرةٌ منـــه جوانبـــه

كأنمـــا غشـــيته حليـــة ذهـــبُ

---

(١) ديوان الأسمر – ص ٣١٧ .

(٢) السمائم : جمع السموم . وهي الريح الحارة. قال أبو عبيدة (السموم) بالنهار وقد يكون بالليل. و(الحرور) بالليل، وقد يكون بالنهار. واللظى: النار.

(٣) الأتون: موقد النار. نصطلي: نحترق. والمراد نعاني من شدة الحر.

(٤) السافية : الريح الهوجاء الحاملة للرمال والتراب. والصخب: الأصوات العالية المختلطة.

(٥) فرقاً : خوفاً وفزعاً . الوكر: عش الطائر، وجمعه وكور وأوكار.

ثـــوب مـــن الرمـــل فضـــفاضٌ إذا نشـــرتْ

منـــه حواشـــيه غابـــت بينـــه الســـحبُ[١]

حـــرٌّ يـــذيبُ دمـــاغَ الضَّـــبّ لافحُـــه

ويتـــركُ المـــرءُ فيـــه كـــلّ مـــا يجـــبُ[٢]

وصف الأسمر (صيف مصر) وصفاً يستند إلى الواقع كما يعيشه الشاعر – كغيره من المصريين – إلى حد كبير.

فالريح تهب في اليوم القائظ كما يهب اللهب من جوف النار.

ومصر في الصيف موقد نار، والناس فيها – لشدة ما يصطلون من حرها – حطب.

والعيون لا تبصر في الصيف غير الرياح الهوج التي تذرو التراب والرمال محدثة صخباً وفزعاً، حتى إن الطيور لتفزع من هذه الرياح الشديدة، فتأوي إلى أوكارها فزعة مضطربة.

وقد غشى الجو صفرة كأنما غشيته حلية من الذهب، حيث يرتدي الأفق ثوباً فضفاضاً من الرمال بحجب السحب عن عين الرائي.

وحر (صيف مصر) شديد يجعل الإنسان يخرج عن طبعه، ويرجئ ما همّ بعمله.

وقد اتسمت هذه الأبيات بجزالة الألفاظ، ورصانة التراكيب، ووضوح المعاني، وروعة التصوير، وإن كنا نعيب على الشاعر التشبيه في قوله:

---

(١) السحب لا تغيب بين رمال العواصف. ولكن العواصف تحجبها.

(٢) الضب : حيوان صحراوي . وقولهم (حر يذيب دماغ الضب) معناه: إنه حر شديد.

والجـــــوُّ مصـــــفرةٌ منـــــه جوانبـــــه

كأنمـــــا غشـــــيته حليـــــة ذهـــــبُ

حيث إن حلية الذهب لا تناسب هذا الجو المعكر، الذي يصطلي الناس بحره، ويفزع الطير من ريحه الهوجاء السافية التي تذرو الرمال والتراب حتى إنها لتحجب السحب.

ثانياً : **وصف مظاهر الطبيعة الصائتة (الحية)**

بتتبع شعر محمد الأسمر تبين أن الشاعر وصف بعض مظاهر الطبيعة الصائتة (الحية) كالطيور والحيوانات.

(أ) الطيور:

الطيور مظهر من مظاهر الطبيعة الصائتة (الحية)، صورها الأسمر في شعره في أدق صورها، حيث وصفها في حركتها الدائبة، وأساليبها الحياتية، وأصواتها الشجية، ونغماتها الحالمة، وموسيقاها العذبة الرائعة.

والطيور معروفة في وصف الشعراء العرب القدامى، وإن كان شاعرنا في تصويره لها يختلف عن القدماء في طريقة تناولهم لها، فإذا كانت في وصف أكثر الشعراء القدامى قاسية عنيفة، فإنها في أكثر وصف الأسمر وديعة أليفة.

وقد يكون ذلك راجعاً إلى أن الأسمر قد اختار لأوصافه الطيور الجميلة المنظر، الرقيقة الصوت، الشجية اللحن والإيقاع، كالعصافير، والحمام، وديك الصبح، ولم يتناول – في شعره الواصف – الطيور الجارحة الدامية كالصقر، والغراب وما إليهما.

ومن هنا جاءت أشعاره في وصف الطيور تتسم بالرقة والإشراق، وتفيض عذوبة وسلاسة.

العصافير :

وصف الأسمر العصافير في قصائده: (العصفور الصغير)[١]، (العفريت الشاعر)[٢]، (عصفورة شاعر)[٣].

ففي قصيدته (العصفور الصغير) يصف الأسمر عصفوراً صغيراً لاح له ما بين الشجر، وقد اختار الشاعر الإطار القصصي لسرد أوصافه، يقول [٤]:

وناشـــــــئ مـــــــن الطيـــــــو

ر لاح مـــــــا بـــــــين الشـــــــجر

مسقســـــــــقٌ كالطفـــــــــل يـــــــت

لـــــو مـــــا وعـــــى مـــــن الســـــور

مضـــــــــطربٌ فـــــــي طيـــــــره

مرتجـــــــــــفٌ إذا اســـــــــــتقر

كأنـــــــــه فـــــــي طيـــــــره

شـــــــرارةٌ مـــــــن الشّـــــــرر

كأنـــــــــه مـــــــن ضـــــــعفه

يطيـــــــر بعـــــــد مـــــــا ســـــــكر

---

(١) بين الأعاصير لمحمد الأسمر – ص١٢٣ .

(٢) بين الأعاصير – ص ١١٧ .

(٣) ديوان الأسمر – ص ٥٧٨ ، ٥٧٩ .

(٤) بين الأعاصير – ص ١٢٣ .

منتقـــــــــــــــلٌ وأمُّـــــــــــــــه

وراءه علـــــــــــــى الأثـــــــــــــر

لهـــــــــا حواليـــــــــه أغـــــــــا

ريـــــــــدُ، وعطـــــــــفٌ، وحـــــــــذر

تحنـــــــو عليـــــــه فـــــــي ضـــــــيا

ء الشـــــــمس، أو نـــــــور القمـــــــر

فهـــــــو لـــــــديها المرتجـــــــى

لروضـــــــــــــها، والمـــــــــــــدخر

وكـــــــــــــل أم عنـــــــــــــدها اب

نهـــــــا الرجـــــــاء المنتظـــــــر

وصف الشاعر في هذه الأبيات (عصفوراً صغيراً) مصوّرا بعض أساليب حياته في هذه المرحلة الباكرة من عمره.

فالعصفور الصغير يسقسق كما لو كان طفلاً يتلو بعض محفوظاته، وهو – لصغره – مضطرب في طيره، لا يكاد يستقر على الأغصان، ومن ثم فهو مندفع في طيره كأنه شرارة من الشرر، أو كأنه ثمل سكران لا يستطيع أن يحفظ توازنه، وأمه تتبعه مقتفية أثره خوفاً عليه، وحذراً من أن يصيبه مكروه، وإن كانت تطمئنه بأغاريدها الحانية، إذ إنه رجاؤها لغدها.

وينهي الأسمر قصيدته بأمنياته (للعصفور الصغير) أن يعيش حياة كريمة بين الرياض والأنهار، حيث الحب والماء وما يرجوه من الثمار، هانئاً بحياته المرحة بين أفانين الزهر، وغصون الشجر، شاكراً الله عز وجل، فإن الله يجزي الشاكرين زيادة في النعمة والإحسان.

الحمام :

وقد وصف محمد الأسمر (الحمام) في عدة قصائد، لعل من أبرزها قصائده: (شجون وشؤون)[١]، (الشاعر والجمال)[٢]، (حمامة الموكب الملكي)[٣].

وقد جاء وصف (الحمام) في شعر الأسمر ممتزجاً ببعض موضوعات شعره.

يقول الشاعر في قصيدته (شجون وشؤون)[٤]:

شـــجتْني وهاجـــت مقلتـــي الحمـــائمُ

وأصحتْ غرامي وهو في القلب نائمُ[٥]

رويـــدك يـــا ورقـــاءُ مالـــكِ والهـــوى

وقـــد فزعـــتْ منـــه النســـورُ القشـــاعمُ؟[١]

---

(١) ديوان الأسمر – ص ٢٤٦ .

(٢) بين الأعاصير – ص ١٤٧ .

(٣) ديوان الأسمر – ص ١٦ .

(٤) ديوان الأسمر– ص ٢٤٦ .

(٥) الشجن : الهم والحزن. شجاه: حزنه. هاج الشيء: ثار وهاجه غيره: أثاره.

(١) رويدك: مهلاً. الورقاء: الحمامة في لونها بياض وسواد. القشاعم: القشعم من النسور: المسن.

لعلـــك يـــا ورقـــاءُ غيـــر مُروعـــة

ببـــين ، ولـــم يظلمـــك فـــي الحـــبِّ ظـــالمُ

في هذه الأبيات يصور الأسمر تأثره بشدو حمامة كانت على هام الغصون، فأحزنه شدوها، وهيج دموعه، وأيقظ غرامه النائم في صدره.

ويشفق الشاعر على الحمامة من الهوى، وما يلاقيه المحب من آلام الشوق والغرام، فالحمامة رقيقة لا تتحمل آلام الهوى ولوعة الوجد والفراق، وقد فزعت منه النسور المسنة مع قوتها وصلابتها وخشونتها.

(**ب**) **الحيوانات**:

الحيوان مظهر من مظاهر الطبيعة الصائتة (الحية)، اعتنى به الشعراء العرب القدامى منذ العصر الجاهلي، إذ وصفوا – في شعرهم – كل ما وقعت عليه عيونهم في بيئتهم الصحراوية، كالجمل والفرس، والآرام، والجآذر، والذئاب، والكلاب، وغيرها.

وإذا رحنا نبحث عن وصف الحيوان في شعر محمد الأسمر بصفته مظهراً من مظاهر الطبيعة عنده، فإننا نجده في أكثره وصفاً حسياً كما كان عند الأقدمين.

الذئب :

ولعل أبرز ما يمثل هذا الجانب في شعره قصيدته (طيف من القبور) التي وصف فيها الذئب.

والذئب: حيوان من الفصيلة الكلبية، آكلة اللحوم، ويسمى كلب البرّ، وهو يسكن الأرض المقفرة، كالصحاري، والغابات، والقبور، وما إلى ذلك...

وأبرز سمات الذئب: توحده برأيه، والغدر، والخيانة، وفي المثل: (الذئب خالياً أسد)، ويضرب لكل متوحد برأيه، أو بدينه، أو بسفره.

وفي المثل أيضاً: (من استرعى الذئب فقد ظلم)، أي ظلم الغنم، أو ظلم الذئب حيث كلفه ما ليس في طبعه.

يقول الأسمر في وصف (الذئب)[١]:

ديـــار خلـــت إلا مـــن الـــذئب وحـــده

يخـــوض بهـــا فـــي ليلهـــا وهـــو جـــائعُ

يظـــل بهـــا يعـــوي، ويرعـــى نجومَهـــا

وثـــمَّ نجـــوم فـــي القبـــور ســـواطع

تـــراه علـــى الأجْـــداث يقفـــز فوقهـــا

كمـــا دفـــع الســـهمَ المســـدد دافـــعُ[٢]

ويـــا عجبـــاً منـــه إذا بـــات جاثمـــاً

عليهـــا، وفيهـــا المرهفـــاتُ القواطـــعُ[٣]

أخـــو فتكـــةٍ معروفـــةٍ وخيانـــةٍ

تربـــى علـــى ثـــدييهما وهـــو راضـــعُ[٤]

وبـــين يديـــه فـــي القبـــور أحبـــة

وبـــين يديـــه فـــي القبـــور ودائـــعُ

---

(١) ديوان الأسمر – ص ٦٠٤ .

(٢) الجدث (بفتحتين) : القبر. وجمعه أجدث وأجداث.

(٣) جاثماً : جثم الطائر : تلبد بالأرض فهو جاثم.

(٤) أخو فتكة : الفاتك الجريء. والفتك (بفتح الفاء وضمها وكسرها): القتل على غرة.

وصف شاعرنا (الذئب) – في هذه الأبيات – وصفاً واقعياً إلى حد كبير، فهو يسكن القبور، يعيش فيها وحده، يقضي ليله يخوض فوق القبور يعوي، تظله نجوم السماء الساطعة على المقابر، وهو يقفز من قبر إلى قبر بسرعة شديدة كما لو كان سهماً مندفعاً.

ويا له من منظر مرعب حين تراه جاثماً على رفات الناس وأجسادهم، يتحفز لتقطيع اللحوم والعظام، فهو قاتل جريء خائن، ورث هذه الصفات عن أبويه، فالقتل والخيانة تربى عليهما منذ كان رضيعاً.

ولعلنا نلحظ أن الأسمر في وصفه (للذئب) قد آثر استخدام الفعل المضارع من مثل: (يخوض – يظل – يعوي – يرعى – يقفز) للدلالة على التجدد والحدوث، وللإيحاء بالحركة الدائمة المستمرة، التي هي أبرز سمات الذئب.

* * * * * *

المبحث الثاني
الخصائص الفنية في شعر وصف الطبيعة
عند محمد الأسمر

لعل من المناسب بعد دراسة وصف الطبيعة في شعر محمد الأسمر أن نسلط الضوء على أبرز الخصائص الفنية، والسمات الأسلوبية التي اتسم بها شعر وصف الطبيعة لدى الشاعر، حتى تكتمل الصورة بدراسة هذه الجوانب الفنية التي نراها من صميم الحديث عن الشعر وفنونه، سواء أكانت متصلة بالمضمون كالوحدة الفنية، والأفكار والمعاني، والخيال، والصورة الشعرية، أم كانت متصلة بالشكل كالتعبير والموسيقى.

وليس معنى هذا أننا ننظر إلى المضمون والشكل على أنهما عنصران مستقلان، فهذا تصور خاطئ، إذ لا يمكن تصور أحدهما مستقلاً عن الآخر، وقد عبر (كروتشه) عن هذا الارتباط بقوله[١]: (... فسيان إذن أن نعد الفن مضموناً أو صورة، شريطة أن يكون من المفهوم دائماً، أن المضمون قد برز في الصورة، وأن الصورة هي الصورة المشعور بها).

كما أن هذه الخصائص أو السمات لا بد من توافرها مجتمعة في القصيدة الشعرية؛ إذ لا يمكن أن تجيء الألفاظ دون أن تحمل في طياتها معنى (فالألفاظ قوالب المعاني)، كما أن الألفاظ لا تستساغ مفردة، بل لا بد من صوغها وترابطها وتناسقها بحيث تشكل الأسلوب الذي يعبر عن المعنى المراد.

---

(١) المجمل في فلسفة الفن – كروتشه ص٦٦ – ترجمة الدروبي – ط القاهرة ، سنة ١٩٤٧م.

ومن هنا كان لا بد من الوعي بأن (العمل الفني – والقصيدة الشعرية بالذات – لا تنفك فيه اللغة عن الشكل؛ لأن شكل القصيدة لا يتجسد وجوده الحقيقي إلا من خلال اللغة، كما أنه لا تنفصل فيه اللغة عن المضمون؛ لأن مضمون القصيدة ليس شيئاً بدون هذا الوعاء اللغوي الذي يحمل عن الشاعر بوحه الداخلي، وبغير هذا الوعاء اللغوي يبقى بوحه همهمات مختلطة بكماء)[١] .

وعلى أساس هذا التصور الذي يؤمن بارتباط المضمون بالشكل أو الصورة نتناول أهم الخصائص الفنية التي اتسم بها شعر وصف الطبيعة عند محمد الأسمر.

الألفاظ والأساليب:

بالرجوع إلى النماذج التي ذكرناها من شعر وصف الطبيعة لدى محمد الأسمر نلحظ أن الشاعر كان يعنى بالصياغة الشعرية عناية كبيرة، حيث صاغ شعره في قوالب عربية فصيحة، لا لبس فيها ولا غموض، ولا ركاكة ولا ابتذال، وهي تتسم بجزالة الألفاظ ووضوحها، وسلاسة الأساليب وإشراقها، مما يلذ القارئ ويمتع السامع.

وبالنظر في النقد القديم والحديث نلحظ أن الكثير من الآراء يؤكد مدى أهمية عنصر اللفظ في الأعمال الأدبية، وبخاصة في الشعر، لأن الكلمة (إذا وضعت في موضعها الأصيل دلت على المعنى كله، فإذا حشرت حشراً، أو قسرت عليه قسراً دلت على بعض المعنى، أو أبانت عن غيره... لذا يشترط فيها الدقة والإيحاء، والسهولة والألفة، والطرافة والشاعرية، والإفادة والرقة، وغير ذلك مما هو مفصل في مظانه)[٢].

---

(١) ظواهر التمرد الفني في الشعر المعاصر – للدكتور محمد أحمد العزب – ص١٢٤، ١٢٥، ط دار المعارف – سنة ١٩٧٨م.

(٢) أسس النقد الأدبي عند العرب للدكتور/ أحمد أحمد بدوي – ص٤٥٢ (بتصرف).

ثم إن (أصحاب الطبع والذوق من أدباء العرب ونقادهم – وفي صدارتهم الجاحظ – لا يختلفون في تقديم الفن الكلامي ... فالجمال يكمن عندهم في الصورة الخلابة، حتى إن المتلقي لهذا الفن يحس إحساساً قوياً أن هناك قوة غامضة ترتفع بشعوره وخياله إلى عالم يموج بالرؤى، ويعمر بالمشاهد التي لها في التعبير إشارات وإيحاءات)[١].

مما جعل الآمدي يقول في كتابه (الموازنة)[٢]:

(وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأتي، وقرب المأخذ، واختيار الكلام، ووضع الألفاظ في مواضعها، فإن اتفق مع هذا معنى لطيف، أو حكمة غريبة، أو أدب حسن، فذلك زائد في بهاء الكلام، وإن لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه، واستغنى به عما سواه).

وقد جعل أبو هلال العسكري[٣] جودة الشعر في (جودة اللفظ وصفائه، وحسنه وبهائه، ونزاهته ونقائه، وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السبك والتركيب، والخلو من أود[٤] النظم والتأليف).

---

(١) مذاهب النقد وقضاياه – للدكتور/ عبد الرحمن عثمان – ص١٥٠ .

(٢) الموازنة للآمدي ص٢١١ – تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد – ط: المكتبة العلمية – بيروت.

(٣) الصناعتين لأبي هلال العسكري – ص٦٤ – ط : دار إحياء الكتب العربية – سنة ١٩٧١م.

(٤) الأود : العوج والانحراف .

ويقول الدكتور طه حسين [١] :

(ومهما يكن حظ الشاعر من إجادة المعنى وتصحيحه وتحقيقه، والبعد به عن الخطأ، والارتفاع به عن الإحالة، فهو لن يظفر من إعجاب الناس بحظ قليل أو كثير إلا إذا استطاع أن يجلو لهم هذا المعنى في لفظ إلا يكن رائعاً خلاباً، فلا أقل من أن يكون صحيحاً مستقيماً، بريئاً من الفساد).

وبتتبع وصف الطبيعة في شعر محمد الأسمر تبين أن ألفاظه وأساليبه تميزت بما يلي:

١ - **جزالة الألفاظ ووضوحها، وسلاسة الأساليب وإشراقها مع فخامة العبارة، وقوة الأسر**:

كما في قوله يصف الطبيعة الجميلة في (دمياط)[٢]:

يـــا بلـــدة فـــي ريـــاض الـــيم مطلعهـــا

مـــا زال يشـــجي فـــؤادي عهـــدك الخـــالي

أردد الطـــرف فـــي شـــمس وفـــي قمـــر

علـــــــى ربـــــــاك وآرام وأشـــــــبال

وللأصـــــيل أيـــــادٍ كلهـــــا ذهـــــبٌ

كيلـــتْ جُزافـــاً، ولـــم تـــوزن بمثقـــال

يكســـو الربـــى ومیـــاه النیـــل أردیـــة

مـــن الحريـــر، ولـــم يظفـــر بمنـــوال

---

(١) حديث الأربعاء – للدكتور / طه حسين – جـ٣ ص١٩٦.

(٢) ديوان الأسمر – ص ٥٦٢ .

لكنهـــا مـــن نســـيج الله معجـــزة

لمـــن بـــدمياط مـــن تجْـــر وعُمـــال

خيوطهـــا غزلتهـــا الشـــمس مســـرعة

قبـــل الغـــروب فأعيـــت كـــل غـــزّال

فنحن نرى في هذه الأبيات: الألفاظ الجزلة القوية الواضحة، والأساليب السلسة الرشيقة، فالأسمر لم يخرج جملة عن هيئة تأليف اللفظ ونسجه، ومتانة أسلوبه عما كان عليه الشعراء القدامى، وإن كان قد آثر جزالة اللفظ مع وضوحه، ومال إلى جودة الأسلوب، ومتانته مع سلاسته وإشراقه.

وقد يكون ذلك راجعاً إلى ثقافته الواسعة، وتمكنه من اللغة، ومعرفة أسرارها، فقد نشأ محمد الأسمر نشأة دينية، حيث حفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالأزهر الشريف، وعمل بالمكتبات زمناً ليس بالقصير، ومن ثم كان لشاعرنا معجمه الخاص به، بما امتاز به من جزالة الألفاظ، ورصانة العبارات، كما كان لعمله بالصحافة أثر كبير في ميله إلى سهولة ألفاظه، وسلاسة أساليبه.

٢ – العناية باختيار الكلمة، والمواءمة بين الألفاظ والمعاني الدالة عليها:

فقد اهتم محمد الأسمر بلغته وتجويدها، ومعرفة مفرداتها ودلالاتها، بحيث تمكن من لغته، وصار خبيراً بأسرارها؛ مما جعله يصبح ذا نهج معين في اختيار ألفاظه، وقد أوضح الشاعر هذا النهج في قوله [١]:

(١) مقدمة ديوان الأسمر – بقلم الشاعر – ص (س).

(كما أني إذا وجدت للفظة المألوفة الخفيفة على السمع ما يجيزها من النحو، أو الصرف، أو الاشتقاق، أو القياس اللغوي أجزتها وفضلتها على غيرها، ما دام غيرها لا يقوم في النغم الشعري مقامها) .

ولعل حب الشاعر للطبيعة، وشغفه بها جعله يتأنق في اختيار ألفاظه بحيث تأتي معبرة عن المعنى الذي يقصد إليه.

وقد استطاع الأسمر – بمهارته وقدرته اللغوية – أن يوظف الألفاظ لخدمة أفكاره ومعانيه في تناسق وترابط وانسجام، فهو يوائم بين ألفاظه وموصوفاته.

ففي مقام وصف مظاهر الطبيعة الرقيقة نجد شاعرنا قد جمع الرقة من أطرافها؛ إذ يختار أعذب الألفاظ، وأسلس العبارات، وبديع التصوير كما في قوله في وصف (العصافير) التي تستقبل الصبح الجديد بأغاريد جميلة متتابعة [1]:

و(للعصـــــافير) أغـــــا ريـــد معـــا مسلســـلة

سقســـــقة أنغامهـــــا قصـــــيرة متصـــــلة

سلاســـــل صـــــوتية يـــا حســـن كـــل سلســـلة

سلاســـــل صـــــوتية مصـــــقولة مجلجلـــــة

كأنهـــــا جماعـــــة لوردهـــــا مرتلـــــة

فقد آثر الشاعر الألفاظ الناعمة الرقيقة في مقام وصف (العصافير) بما لها من منظر جميل وديع، وصوت عذب بهيج، وأنغام قصيرة متصلة.

(١) ديوان (بين الأعاصير) – ص١٢٠ ، ١٢١ .

لكننا نجده يؤثر الألفاظ القوية العنيفة، والعبارات الرصينة المحكمة في مقام وصف (الذئب) بما له من طبع يتسم بالشراسة والغدر والخيانة، والقتل والعدو والقفز، والحياة في الأرض المقفرة الموحشة.

يقول الشاعر [١] :

ديـــار خلـــت إلا مـــن الـــذئب وحـــده

يخـــوض بهـــا فـــي ليلهـــا وهـــو جـــائع

يظـــل بهـــا يعـــوي، ويرعـــى نجومهـــا

وثـــم نجـــوم فـــي القبـــور ســـواطع

تـــراه علـــى الأجـــداث يقفـــز فوقهـــا

كمـــا دفـــعَ الســـهم المســـددَ دافـــع

أخـــو فتكـــة معروفـــة وخيانـــة

تربّـــى علـــى ثـــدييها وهـــو راضـــع

ففي هذه الأبيات نرى الألفاظ الفخمة القوية، التي تناسب الموصوف تمام المناسبة، وتلائم شكله وطبيعته وأخلاقه، وخشونته وقسوته

٣ – التأثر بأسلوب القرآن الكريم :

فقد بدا أثر القرآن الكريم في ألفاظ محمد الأسمر وأساليبه، كإحكام النسج، وهجر الحوشي من الكلام، وظهور نفحات من القرآن الكريم في أسلوب الشاعر.

---

(١) ديوان الأسمر – ص ٦٠٤ .

نذكر من ذلك على سبيل التمثيل:

قوله في قصيدته (بور سعيد) يصف مياه البحر في منطقة القناة:

أيـــن (فرعـــون) ينظـــر المـــاء يجـــري

تحـــت هـــذا الغربـــيّ فـــي كـــلِّ آن[١]

إشارة إلى ما جاء في القرآن الكريم عن فرعون: ﴿**أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي**﴾[٢].

ويصف (صيف مصر) فيقول[٣]:

ثـــوب مـــن الرمـــل فضـــفاض إذا نشـــرت

منـــه حواشـــيه غابـــتْ بينـــه الســـحب

يتسم (الصيف في مصر) برياحه الهوج التي تذرو التراب والرمال، فتنتشر الرمال في الجو مكونة ثوباً من الرمال يغشى الأفق تغيب بينه السحب.

والحقيقة أن السحب لا تغيب بين رمال العواصف، ولكن العواصف تحجبها، وقد جرى الشاعر في ذلك على الأساليب العربية، وصور في شعره الظاهر للعين متأثراً بالقرآن الكريم، كما في قوله – تعالى – حكاية عن ذي القرنين: ﴿**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ**﴾[٤].

---

(١) ديوان الأسمر – ص ٥٦٤ .

(٢) سورة الزخرف – الآية ٥١ .

(٣) ديوان الأسمر – ص ٣١٧ .

(٤) سورة الكهف – الآية ٨٦ .

الأفكار والمعاني:

الفكرة أو المعنى أو المضمون من أهم عناصر الأدب ومقوماته، وهي الأساس الأول للاعتراف بقيمته، وهي أيضاً أساس العاطفة، فلا بد من تمازج الفكرة بالعاطفة، والأدب الذي ينقصه الفكرة أدب ميت خامل ضعيف(١).

ذلك لأن الأدب ليس أسلوباً وتعبيراً فحسب، ومن ثم قال أبو هلال العسكري في كتابه (الصناعتين)(٢):

(إن الكلام ألفاظ تشتمل على معان تدل عليها، وتعبر عنها، فيحتاج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ؛ لأن المدار بعد على إصابة المعنى؛ ولأن المعاني تحلّ من الكلام محل الأبدان، والألفاظ تجري منها مجرى الكسوة.)

وقد فطن عبد القاهر الجرجاني إلى ذلك حين قال (٣):

(إن اللفظة رمز لمعناها، رمز للفكرة، أو التجربة أو العاطفة أو المعنى، وقيمتها فيما ترمز إليه، وليست البلاغة فيها وحدها).

وعبد القادر في ذلك إنما يتلاقى مع كل النقاد العالميين القدامى والمحدثين (٤).

---

(١) النقد العربي الحديث ومذاهبه للدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجى – ص٤١.

(٢) الصناعتين لأبي هلال العسكري – ص٧٥ – تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم – مطبعة عيسى البابي الحلبي – القاهرة.

(٣) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني – ص٣٤١ .

(٤) النقد العربي الحديث ومذاهبه – للدكتور عبد المنعم خفاجى – ص٩٤.

وبمعاودة النظر في شعر وصف الطبيعة عند محمد الأسمر نتبين أن الشاعر أولى معانيه وأفكاره عناية خاصة واضحة، إذ تتسم أفكاره ومعانيه في شعره الواصف للطبيعة بعدة سمات، أهمها:

(١) وضوح الأفكار، وقرب المعاني:

فقد كانت الأفكار والمعاني في شعر وصف الطبيعة لدى محمد الأسمر قريبة المأتى، واضحة القصد، سهلة التناول، بعيدة عن التعمق الفلسفي.

فمعانيه صافية كالسماء في صفائها، رائقة نيرة كالبدر عند اكتماله، شجية عذبة كسقسقة العصافير في استقبال الصبح الجديد.

وقد استمد الأسمر معانيه وأفكاره في وصف الطبيعة من مشاهد الطبيعة ذاتها، كما تتجلى للشاعر، وكما يحسها وجدانه، وتستولي على كيانه.

ومعاني محمد الأسمر في وصف الطبيعة – في أكثرها – تكرار لمعاني شعراء الطبيعة القدامى مع زيادة ما جدَّ في عصره وبيئته من مشاهد طبيعية، وأساليب حياتية، وثقافة، ونهضة أدبية وشعرية.

فالأسمر أحد شعراء الكلاسيكية التي حافظت على الأصول القديمة، وحاولت محاكاتها في المعاني والأفكار، والألفاظ والأساليب، والصور والأخيلة، مع الاتجاه إلى التجديد في إطار الأصول القديمة.

فقد وصف شاعرنا: الأشجار[١]، والأزهار[٢]، والسحب والأمطار[٣]، والبحار[٤]،والأنهار[٥]،والشمس[٦]،والليل[٧]،والنجوم[٨]،كما وصف (الفجر)[١]،

---

(١) ديوان الأسمر – ص ٥٧٩ .
(٢) ديوان الأسمر – ص ١٧ .
(٣) ديوان الأسمر – ص ٣١٨ ، ٣١٩ .
(٤) ديوان الأسمر – ص ٢٥ .
(٥) ديوان الأسمر – ص ٥٧٨ .
(٦) بين الأعاصير – ص ١٠٣ .
(٧) ديوان الأسمر – ص ٥٦٥ .
(٨) ديوان الأسمر – ص ٥٦٥ .
(١) ديوان الأسمر – ص ٥٦٦ .

والصبح[١]، والقمر[٢]، كما وصف أيضاً الربيع[٣]، وبرد الشتاء[٤]، وحر الصيف[٥]، ووصف بعض مظاهر الطبيعة الصائتة (الحية) كالعصافير[٦]، والحمام[٧]، والديك [٨]، والذئب [٩]، كما سبق أن رأينا في حديثنا عن موصوفاته.

وأكثر هذه الموصوفات مما تناوله شعراء الطبيعة العرب القدامى.

أما الجديد في أوصافه فهو وصف القطار[١٠]، والطائرة[١١]، والمذياع [١٢]، ومعانيه فيها مبتكرة استوحاها من فيض خاطره.

(٢) ترتيب الفكر وتقريب المعنى إلى الأذهان في تناسق وتناسب:

ولعل من أبرز ما اتسمت به الأفكار والمعاني في شعر وصف الطبيعة عند محمد الأسمر: ترتيب الفكر، وتقريب المعنى إلى الأذهان والوجدان، وذلك بتصوير الواقع، والإكثار من التشبيهات التي تعين على تخيّل الصورة التي يرسمها الشاعر، كقوله في وصف (الموج) في البحر المتوسط [١]:

---

(١) ديوان الأسمر – ص ٥٦٦ .
(٢) ديوان الأسمر – ص ٣٢٢ .
(٣) ديوان الأسمر – ص ٥٨٤ .
(٤) ديوان الأسمر – ص ٥٨٢ ، ٥٨٣ .
(٥) ديوان الأسمر – ص ٣١٧ .
(٦) ديوان الأسمر – ص ٥٧٨ .
(٧) ديوان الأسمر – ص ١٦ ، ٢٤٦ .
(٨) بين الأعاصير – ص ١٢٠ .
(٩) ديوان الأسمر – ص ٦٠٤ .
(١٠) ديوان الأسمر – ص ٥٧٦ ، ٥٧٧ .
(١١) ديوان الأسمر – ص ٥٧٨ .
(١٢) ديوان الأسمر – ص ٥٧٥ .
(١) ديوان الأسمر – ص ٥٦٣ .

وتـــــرى المـــــوج فوقهـــــا يترامـــــى

كترامـــــي الأطفـــــال فـــــي الأحضـــــان

لـــــو تـــــرى لمحـــــة الأصـــــيل عليـــــه

خِلـــــتَ فيـــــه مصـــــابغ الزعفـــــران

وكـــــأن النســـــيم فـــــي ســـــاحل البحـــــ

ـــــر يعاطيـــــك صَـــــفْو مـــــا فـــــي الـــــدنان

فقد رسم الشاعر لوحة فنية تعبر عن جمال البحر الأبيض المتوسط في مدينة بورسعيد، حيث الأمواج تترامى على الشاطئ كترامي الأطفال في أحضان آبائهم، والأصيل يرسل أشعته الصفراء تطبع الأمواج بلونها الأصفر الذهبي فكأنها مصابغ الزعفران.

والنسيم على ساحل البحر رقيق ساحر، كأنه خمرٌ صافية معتقة.

ولعل ذلك راجع إلى ما هذب نفسه ورقق طبعه من ثقافة واسعة، وما خصب خياله وأنمى معارفه من اطلاع على التراث العربي القديم في أزهى عصور الأدب العربي وفي شعر الفحول من الشعراء.

(٣) استقصاء المعاني وتحليلها :

فقد مالت المعاني عند شاعرنا إلى شيء من التحليل والاستقصاء واستيفاء أكثر عناصر المعنى وألوانه وظلاله، ومن هنا وجدنا طول نفس الشاعر في وصفه لبعض مشاهد الطبيعة واستقصاء أكثر حالاتها وأشكالها.

ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك قصائده (الشمس)[١]، (الليل)[٢].

ففي قصيدته (الشمس)[٣]، وصف الشاعر (الشمس) في قصيدة بلغ عدد أبياتها ثمانية وأربعين بيتاً، وقسمها إلى مقاطع، كل مقطع يمثل لوحة فنية للشمس في حالة من حالاتها، أو شكل من أشكالها.

حيث وصف شروق الشمس	(الأبيات ١ – ٤)
وصور الشمس صانعة السحب	(الأبيات ٥ – ٨)
الشمس كالدنيا في توالي أحداثها وتكرارها	(الأبيات ٩ – ١٢)
بقاء الشمس وعمرها القديم	(الأبيات ١٣ – ١٦)
الشمس آية على عظمة الخالق	(الأبيات ١٧ – ٢٠)
مشهد غروب الشمس	(الأبيات ٢١ – ٢٤)

وهكذا إلى آخر القصيدة.

ولنقرأ لشاعرنا هذه الأبيات التي يصف فيها (شروق الشمس):

أشـــرقت شـــمس الضـــحى مـــن خـــدرها

بعـــدما أرســـلت الفجـــر بشـــيرا

رفعـــت أســـتارها ثـــم مشـــت

فـــي هـــدوء تمـــلأ الآفـــاق نـــورا

يـــا لهـــا مـــن جمـــرة موقـــدة

لـــم تـــزل تنبـــت فـــي الأرض الزهـــورا

---

(١) بين الأعاصير – ص ١٠٣ – ١٠٦ .

(٢) ديوان الأسمر – ص ٥٦٥ .

(٣) بين الأعاصير – لمحمد الأسمر – ص١٠٣ : ١٠٦ .

إنهـــا نـــار مشـــت مـــن فوقنـــا

أنبـــت الله بهـــا الـــزرع النضـــيرا

هكذا تبدو براعة شاعرنا في معانيه، وفي طريقة عرضها، واتسامها بالسهولة والوضوح، وقرب المأتى، ووضوح القصد، والترتيب وتجنب الغرابة والغموض والتعقيد، ومهما يكن فحسبه أنه أجاد عرضها في عبارة جذابة صورت مشاهد الطبيعة أتم تصوير.

الخيال والصورة الشعرية:

الخيال هو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم، وهم لا يؤلفونها من الهواء، إنما يؤلفونها من إحساسات سابقة لا حصر لها، تختزنها عقولهم، وتظل كامنة في مخيّلتهم، حتى يحين الوقت فيؤلفوا منها الصورة التي يريدونها [١].

وللخيال أهمية كبيرة في العمل الأدبي بعامة، وفي النص الشعري على وجه الخصوص، (إنه يتناول الحقيقة فيلونها، ويوشيها بالصور، والتشبيهات، والكنايات، وما إلى ذلك من فنون التصوير، وألوان البلاغة فتلبس بذلك أزياء براقة مثيرة تلعب بالعواطف، وتأخذ بالمشاعر، وتستهوي النفوس)[٢] .

ولأهمية الخيال جعله كثير من النقاد لغة الفن الأدبي، وإذا خلا الكلام منه فهو بعيد كل البعد عن المجال الفني عند كثير من النقاد،[٣] (والذي يجعل الشاعر شاعراً هو تلك القدرة على التصوير)[٤].

---

(١) في النقد الأدبي – للدكتور شوقي ضيف – ص١٦٧ .

(٢) دراسات في النقد الأدبي – للدكتور/ حسن جاد حسن – ص٦ .

(٣) النقد الأدبي لسهير قلماوي – ص٦٨ – ط: دار المعارف – القاهرة ١٩٥٨م.

(٤) النقد الأدبي لأحمد أمين – جـ١ ص٦٨ .

وبالرجوع إلى وصف الطبيعة في شعر محمد الأسمر تبين أن الشاعر يجيد التصوير للموصوف (حتى يعطي متذوقه صورة واضحة عن هذا الموصوف)[١].

وأكثر الخيال في شعر الأسمر الواصف للطبيعة من الخيال التصويري، وهو الذي يجيء من مشاهدات الشاعر، وقراءاته الواعية.

ويرى بعض النقاد أن هذا النوع من الخيال خير وسيلة لوصف الطبيعة وصفاً أدبياً رائعاً؛ لأنه يقوم على إدراك جمال الأشياء وأسرارها، ثم اختيار العناصر التي تمثل هذا الجمال تمثيلاً قوياً [٢].

كما أن الشعراء حين (يشخصون الطبيعة، ويملأونها، أو يملأون عناصرها من الشمس والقمر، والسماء والأرض، والبحار والأنهار والأشجار بالعواطف والوجدانيات والمشاعر؛ فلأنهم يريدون أن ينفذوا إلى الروح الداخلية للكون كله)[٣] .

وقد اتسم الخيال في شعر وصف الطبيعة عند الأسمر بسمات، أهمها:

١ – أنه خيال متآلف متسق، لا عيب فيه، ولا شيء يشوب اتفاقه واتساقه، وهذا كله من سمات الخيال الجيد عن أكثر النقاد [٤].

---

(١) نصوص نقدية لأعلام النقاد العرب – للدكتور/ محمد السعدي فرهود – ص٢٠٠ – ط: ثانية.

(٢) أصول النقد الأدبي – للأستاذ أحمد الشايب – ص٢١٩ .

(٣) في النقد الأدبي – للدكتور شوقي ضيف – ص١٥٠ .

(٤) أصول النقد للدكتور خفاجي – ص٣٤ .

ولنقرأ لشاعرنا هذه الأبيات في وصف (الليل)[١]:

حَبـــــذا النيـــــلُ والـــــزوارق فيـــــه

راقصـــــاتٌ بمـــــن عليهـــــا مـــــواجنُ

وكـــــأنّ الســـــماء لجّـــــة مـــــاء

وكـــــأنّ الســـــحاب فيهـــــا ســـــفائن

منظـــــرٌ زاده علـــــى الحســـــن حســـــناً

مغـــربُ الشـــمس فـــي نخيـــل الجنـــائن

لـــــو تراهـــــا والليـــــل يتبعهـــــا بـــــا

ن لـــــك الأمـــــرُ عـــــن مـــــدين ودائـــــن

لا يـــــزالان هكـــــذا أبـــــد الدهـــــــ

ر يمـــــــران بـــــــالقرى والمـــــــدائن

فقد رسم الأسمر – في هذه الأبيات – منظراً جميلاً للنيل، حيث الزوارق راقصات بمن عليها، وقد زاد هذا المنظر حسناً منظر السماء التي يخيل للرائي أنها لجة ماء، والسحاب فيها سفن جارية.

وقد زاد هذا المنظر حسناً على حسنه منظر الشمس وهي تتدلى بين نخيل الحدائق والبساتين والليل يزحف ليلف الكون بظلامه.

---

(١) ديوان الأسمر – ص ٥٧٨ .

وقد اعتمد الشاعر في رسم هذه الصورة على الاستعارة المكنية حيناً، كما في قوله: (الزوارق راقصات بمن عليها مواجن).

وحيناً آخر على التشبيه، كما في قوله: (السماء لجة ماء)، (السحاب سفائن) والخيال هنا – كما نرى – متآلف متسق، لا يشوبه غموض ولا تناقض.

٢ – أكثر صور الأسمر في وصف الطبيعة صور حسية تعتمد على التشبيه والاستعارة كما رأينا في الأبيات السابقة، وكما في هذه الأبيات التي رسم فيها الشاعر صورة للشمس عند شروقها، يقول [١]:

أشـــــرقت شـــــمس الضـــــحى مـــــن خـــــدرها

بعـــــدما أرســـــلت الفجـــــر بشـــــيرا

رفعـــــت أســـــتارها ثـــــم مشـــــت

فـــــي هـــــدوء تمـــــلأ الأفـــــق نـــــورا

٣ – وقد نجد للأسمر في شعره الواصف للطبيعة الخيال الطريف المبتكر، الذي ساعده على ابتكار الصورة، والتأليف بينها، وقد أضفى عليها الكثير من الجمال والرونق، فبدت الصورة متسمة بالجدة والابتكار؛ مما ينم عن سعة خيال الشاعر، وقدرته على التخيل، وإبداع الصور، والتأليف بين عناصرها.

(١) ديوان (بين الأعاصير) لمحمد الأسمر – ص١٠٣.

من هذه الصور قوله يصف البحر والأمواج [١] :

قــف علــى الشــط وقفــة وانظــر البحــ

ـــر تجـــدهُ بمـــا علـــى الشـــطّ هامـــا

وانظـــر المـــوج كلمـــا أبصـــرَ الغيـــ

ـــــد ترامـــــى يقبـــــل الأقـــــداما

فهيام البحر لرؤيته ما على الشاطئ من جميلات، وترامي الموج وتقبيله الأقدام كلما أبصر الغيد الحسان صورة فيها جدة وطرافة.

٤ – كما نجده في بعض صوره يمتزج بالطبيعة، ويرى في مظاهرها سمات نفسه المتعبة المتألمة، كما في قصيدته (حتى الطبيعة)، إذ يقول[٢]:

حتـــى الطبيعـــة لـــيس منظرهـــا

كـــالمنظر المـــألوف مـــن قبـــل

فـــالريح معولـــة كثاكلـــة

تبكـــي، ومـــا بـــالريح مـــن ثكـــل

والبحـــر مضـــطرب لـــه زبـــد

فكأنـــه فـــي مرجـــل يغلـــي

والســـحب فـــي الأفـــق مشـــفقة

ممـــا تـــرى تمشـــي علـــى مهـــل

---

(١) ديوان الأسمر – ص ٣١٩ .

(٢) ديوان (بين الأعاصير) – لمحمد الأسمر – ص١٧٠ .

فعلمـــــــت أن الكائنـــــــات بهـــــا

مـــــا بـــــي، وأن جميعهـــــا مثلـــــي

وهكذا نرى أن الأسمر في وصف الطبيعة قد اتسم بخصوبة الخيال، ورحابة التصوير، بفضل موهبته الفذة، واستعداده الشخصي، وبراعته في علوم اللغة، واطلاعه على التراث الشعري القديم والحديث، وتأثره بهذا التراث، كما رأينا في أكثر النماذج التي ذكرناها.

الموسيقى والأوزان:

الموسيقى عنصر مهم من عناصر الصياغة الشعرية (وهي لا تقل أهمية عن الخيال، إن لم تبزه أثراً، ولا قيامة لعمل شعري بدونها، وقد يقوم العمل الشعري عليها وحدها)[١] .

فالشعر (فن جميل، عماده الخيال، والعاطفة والتصوير، والموسيقى والوزن)[٢]، والشعراء لا يستخدمون الموسيقى في قصائدهم لغرض الطرب فحسب، وإنما لتلافي النقص في تعبيرهم، فمثلها في ذلك مثل الخيال، بل إنهم إن استغنوا عن الخيال في بعض أبياتهم، أو في بعض المقاطع من قصائدهم، فإنهم لا يستغنون عن الموسيقى ألبته)[٣]، وكأن الموسيقى هي (التعبير الذي عثرت عليه الإنسانية من أول الزمان؛ للإفصاح عن عالمي النفس والكون، وما

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث – لمصطفى عبد اللطيف السحرتي – ص٥٠.

(٢) عروض الشعر العربي للدكتور خفاجي – ص٤ .

(٣) في النقد الأدبي – للدكتور / شوقي ضيف – ١٥١ .

يُطوى فيهما من حقائق وأسرار، فهي والشعر صنوان لا يفترقان مهما تقدم الزمان، وارتقى الإنسان)[١] .

وتعتمد الموسيقى على الوزن والقافية في الإطار الخارجي، أما الموسيقى الداخلية فهي مستوحاة من قدرة الشاعر على اختيار كلماته وحروفه اختياراً دقيقاً موفقاً.

وتتسم الموسيقى في شعر وصف الطبيعة لدى محمد الأسمر بالعذوبة، والرقة، والإيقاع الرائق الموحى؛ مما جعل بعض قصائد الشاعر ومقطوعاته جديرة بالتلحين والغناء.

فقد كان محمد الأسمر ذا حس موسيقي فطري، وذوق فني ساعده على إشاعة الجو الموسيقي في شعره ليسري من السمع إلى أعماق الوجدان، فتنتشي له النفس، وتطرب لسماعه الآذان.

١ – الموسيقى الخارجية في شعره :

يقصد بالموسيقى الخارجية: موسيقى الأوزان العروضية، التي تؤثر في نفوسنا بإيقاعها المنتظم، ونبراتها المتسقة، وموسيقى القافية.

والموسيقى الخارجية تعتمد على علم العروض وموازينه، فالوزن الشعري له أهميته بلا جدال، ولكن ينبغي أن يكون وسيلة تعين الشاعر على استجلاء حسه الفني، وتدفعه لتنبل بواسطته أفكاره وصوره.

وقد حاول محمد الأسمر إشاعة الجو الموسيقي في شعره بما يلي:

أولاً : **العناية باختيار أوزان قصائده** :

وباستقراء شعر وصف الطبيعة عند محمد الأسمر تبين أنه كان يؤثر البحور الممتدة ذات المسافات الصوتية الطويلة؛ لأنها تمكن الشاعر من سرد أوصافه، والإفصاح عن معانيه وأفكاره، والتأنق في أخيلته.

---

(١) في النقد الأدبي – للدكتور / شوقي ضيف – ص١٥١ .

ومن هنا وجدنا أكثر شعر وصف الطبيعة – عنده – قد نظم في البحور الممتدة ذات المسافات الصوتية الطويلة، والحروف الكثيرة كالكامل، والطويل، والبسيط، والخفيف، والوافر، والرمل.

(**أ**) **فقد نظم الأسمر على وزن (بحر الكامل) عدة قصائد، أذكر منها**:

قصيدة (الربيع)[١] التي يقول فيها:

جـــاء الربيـــع منضـــداً، ومُنضّـــراً

هـــام الربـــى، ومُضـــمخاً، ومُعطـــرا

ملـــك الفصـــول مشـــى يجـــرُّ ذيولـــه

مَوْشـــيَّة بالســـحر فتنـــة مـــن يـــرى

وقصيدة (ليلة في سفح الهرم)[٢]، يقول فيها واصفاً القمر:

والبـــدر فـــي كبـــد الســـماء كأنـــه

ملـــكٌ علـــى الـــدنيا عظـــيمُ الشـــأن

ســـطعت علـــى (الأهـــرام) آيـــة نـــوره

فكأنمـــا هـــي آيـــة الفرقـــان

(١) ديوان الأسمر – ص ٥٨٤ ، ٥٨٥ .

(٢) ديوان الأسمر – ص ٥٧٧ .

وقصيدة (حتى الطبيعة)[١] ، التي يقول فيها:

والبحـــــر مضـــــطرب لـــــه زبـــــد

فكأنـــــه فـــــي مرجـــــل يغلـــــي

والســـــحب فـــــي الآفـــــاق مشـــــفقة

ممـــــا تـــــرى تمشـــــي علـــــى مهـــــل

وقصيدة (بين الأمواج وفوق الشاطئ)[٢]، (الهلال بالمصطاف)[٣].

(**جـ**) **ونظم على وزن** (**بحر الخفيف**) **عدة قصائد**، **منها قصائده**:

(في المصطاف بين السماء والبحر)[٤]، يقول فيها:

فكـــــأن (الســـــحاب) (مـــــوجٌ) تســـــامى

وكـــــأن (الأمـــــواج) (ســـــحب) ترامـــــى

(بورسعيد)[٥]، يقول فيها واصفاً الموج في البحر المتوسط:

وتـــــرى المـــــوج فوقهـــــا يترامـــــى

كترامـــــي الأطفـــــال فـــــي الأحضـــــان

---

(١) بين الأعاصير – ص ص١٧٠ .

(٢) ديوان الأسمر – ص ٣٢٠ .

(٣) ديوان الأسمر – ص٣٢٢ .

(٤) ديوان الأسمر – ص ٣١٩ .

(٥) ديوان الأسمر – ص ٥٦٣ .

لـــو تـــرى لمحـــة الأصـــيل عليـــه

خلـــت فيـــه مصـــابغ الزعفـــران

(في النيل)[١]، يقول فيها واصفاً النيل:

حَبـــذا النيـــلُ والـــزوارق فيـــه

راقصـــاتٌ بمـــن عليهـــا مـــواجنُ

وكـــأن الســـماء لجّـــة مـــاء

وكـــأن الســـحاب فيهـــا ســـفائن

(**د**) **ونظم على وزن (بحر الطويل) بعض شعره الواصف للطبيعة**:

كقوله في قصيدته (شجون وشؤون) مخاطباً "حمامة" [٢]:

شـــدوت علـــى هـــام الغصـــون فـــرددت

ريـــاح الخُزامـــى الشـــدو والزهـــر باســـمُ

وقلـــت فأصـــغى الـــروضُ حتـــى كأنـــه

لشـــدَّةِ مـــا يُصـــغي إلـــى القـــول فـــاهمُ

وقوله واصفاً (النيل)[٣]:

تهـــامس فيـــه موجـــه همـــس صـــابر

ولـــو شـــاء دوّى كالبحـــار الخضـــارم [٤]

---

(١) ديوان الأسمر – ص٥٧٨ .

(٢) ديوان الأسمر – ص ٢٤٦ .

(٣) ديوان الأسمر – ص ٦٤٥ .

(٤) البحار الخضارم : الواسعة ، كثيرة الماء .

ولكنـــــه النيـــــلُ الوقـــــورُ مغمغـــــمٌ

وحســبك رعــدا بعــض تلــك الغمــاغم [١]

(هـ) ونظم على وزن (بحر البسيط) وهو من البحور الطويلة كثيرة الحروف عدة قصائد منها:

قصيدته الرائعة (دمياط)، وفيها يقول[٢] :

يـــا بلـــدة فـــي ريـــاض الـــيمّ مطلعهـــا

مـــا زال يُشـــجي فـــؤادي عهـــدكُ الخـــالي

اردد الطـــرف فـــي شـــمس وفـــي قمـــر

علـــــــى ربـــــــاك وأرام وأشـــــــبال

وقصيدة (صيف مصر ومصطاف رأس البر)، وفيها يقول [٣]:

والجـــــوّ مصـــــفرة منـــــه جوانبـــــه

كأنمـــــا غشـــــيته حليـــــة ذهـــــبُ

ثـــوبٌ مـــن الرمـــل فضـــفاضٌ إذا نشـــرتْ

منـــه حواشـــيه غابـــت بينـــه الســـحبُ

---

(١) الغمغمة : إحداث صوت غير مبين .
(٢) ديوان الأسمر – ص ٥٦٢ .
(٣) ديوان الأسمر – ص ٣١٧ .

(و) كما نظم الأسمر على وزن (بحر الوافر) :

كما نجد في قصيدته (الشاعر والجمال)، يقول فيها معرباً عن تجاوب نفسه مع مشاهد الطبيعة [١]:

مغـــنٍّ مـــن ذوات الـــريش غنـــى

علـــى فـــنن بروضـــته طروبـــا

تخيّـــر أنضـــر الأغصـــان فيهـــا

وقـــام علـــى ذؤابتـــه خطيبـــا

وغـــرد فوقـــه فســـمعت قلبـــي

يـــردد مـــا يغـــرده وجيبـــا

ومع هذا فنحن نجد الشاعر يتخيّر – أحياناً – البحور ذات الأوزان الخفيفة؛ لملاءمتها للموصوفات التي تتسم بالرقة، أو عذوبة الصوت، وجمال النغم، حيث استخدم في موسيقى بعض قصائده (بحر الرجز).

وعلى وزن هذا البحر جاءت قصيدته (هيفاء الريف) التي يقصد بها شجرة النخيل، يقول في وصفها [٢]:

واهـــاً لهـــا بـــين العقـــود الخُضْـــر

تمـــيس فيهـــا والعقـــود الصُّـــفر

وتـــارة بـــين العقـــود الحمـــر

أو فـــي العقـــود الســـود فـــوق النحـــر

---

(١) بين الأعاصير – ص ١٤٧ .

(٢) ديوان الأسمر – ص ٥٧٩ .

وعلى وزن (مجزوء الرجز) جاءت قصيدته (العصفور الصغير)[١]:

وناشـــــــئ مـــــــن الطيـــــــو

ر لاح مـــــــا بـــــــين الشـــــــجر

مضـــــــطربٌ فـــــــي طيـــــــره

مرتجـــــــفٌ إذا اســـــــتقر

وقد اختار الأسمر وزن (مجزوء الرجز) في وصف (أغاريد العصافير)[٢]، ووصف (ديك الصبح)[٣]:

ثانياً : **العناية بالقافية** :

وإذا كان محمد الأسمر قد وفق في اختيار أوزان شعره في وصف الطبيعة، فقد وفق أيضاً في اختيار القوافي الملائمة لموصوفاته، وذلك لما للقافية من أهمية في موسيقى الشعر، (فإذا قلنا إنها عبارة عن عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، فإن تكرارها يكون جزءاً مهماً من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية، يتوقع السامع ترددها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة)[٤].

فشاعرنا يحرص على الانسجام بين القافية والموضوع، ففي مقام وصف مشاهد الرقة والجمال يتخيّر القافية الملائمة لذلك.

---

(١) بين الأعاصير – ص ١٢٣ .
(٢) بين الأعاصير – ص ١٢٠ ، ١٢١ .
(٣) بين الأعاصير – ص ١٢٠ .
(٤) موسيقى الشعر – للدكتور/ إبراهيم أنيس – ص٢٤٢ – ط: القاهرة ١٩٥٥م.

ها هو ذا يتخير حرف (الباء) بوداعته ورقته؛ ليصف (عصفورة) رقيقة وديعة رعاها، وأطعمها حتى تكامل ريشها، ثم لاح له منها يوماً أنها في شوق إلى الحرية، فأطلقها تطير في الأفق كما تشاء.

يقول الأسمر من بحر المجتث [١] :

عصـــــــفورتي كنـــــــت عنـــــــدي
فـــــي روضـــــة هـــــي حُبِّـــــي
أرعـــــــاك كـــــــالأم ترعـــــــى
وحيـــــــــــدها، وتُربِّـــــــــي
حتـــــــى تكاملـــــــت ريشـــــا
مـــــا بـــــين مـــــائي وحَبِّـــــي

وفي المقابل نراه يؤثر حرف (العين المضمومة) بجهارته وقوته ورنينه؛ ليكون (رويّه) في وصف الذئب بشراسته وغدره وقوته.

يقول الأسمر من بحر الطويل [٢] :

ديـــار خلـــت إلا مـــن الـــذئب وحـــده
يخـــوض بهـــا فـــي ليلهـــا وهـــو جـــائعُ
تـــراه علـــى الأجْـــداث يقفـــز فوقهـــا
كمـــا دفـــع الســـهمَ المســـددَ دافـــعُ

ومع أن شاعرنا قد سار في أكثر قصائده – في وصف الطبيعة – على نظام القافية الواحدة، إلا أننا نجد له بين الحين والحين التنويع في القافية، كما في قصيدته (الشمس)[٣].

---

(١) ديوان الأسمر – ص ٥٧٨ .
(٢) ديوان الأسمر – ص ٦٠٤ .
(٣) بين الأعاصير لمحمد الأسمر – ص١٠٣ – ١٠٦ .

المبحث الثالث

محمد الأسمر في ميزان النقد

أولاً : تأثره بشعراء وصف الطبيعة السابقين :

مما لا شك فيه أن من سمات الأدب التأثر والتأثير، وهذه السمة نراها بادية في الأدب بعامة، وفي الشعر بخاصة في أغلب العصور، ولدى أكثر الشعراء.

فالأديب لا يحدث عملاً أصيلاً ذا قيمة فنية متميزة بدون ثقافة عميقة، إذ إن الأديب (لا ينبت فجأة من تلقاء نفسه، بل هو كالشجرة الطيبة تضرب جذورها في أعماق بعيدة من تربة صالحة، ثم تأخذ في النمو والتكون، وتمضي عليها سنوات متطاولة حتى تشق أجواء الفضاء، فيفيء إليها الناس يستظلون بها من وهج الحياة)[١].

ومما لا شك فيه أن التربة الصالحة التي تضرب فيها جذور الأديب، هي ما سبقه من نماذج الأدب التي اطلع عليها، وتأثر بها منذ نعومة أظافره، حتى نضجت ملكاته ومواهبه، فتترك ظلالها على نفسه، وصبغتها على أدبه، فالأدب (كبقية فروع النشاط الإنساني، يُبنى الحاضر فيه على أساس الماضي، وينتفع الخالف بتراث السالف، فيتكون من ذلك كلٌ متصل، أو قل: كلٌ متسلسل متعاون، يتولد بعضه من بعض، في صور متعاقبة، لا يمكن للاحق منها أن يتقدم على سابق، ولا لسابق أن يتأخر عن لاحق)[٢] .

ولعلنا نلحظ من خلال دراستنا لوصف الطبيعة في شعر محمد الأسمر أن شاعرنا قد تمثل النماذج الشعرية الجيدة لبعض شعراء الطبيعة السابقين، لاسيما في العصر العباسي، حيث ظهرت آثارهم بوضوح في شعره.

---

(١) في النقد الأدبي – للدكتور/ شوقي ضيف – ص١٧٦ .

(٢) في النقد الأدبي – للدكتور/ شوقي ضيف – ص١٧٦ .

فوصف الطبيعة من الأغراض الشعرية القديمة التي تناولها أكثر الشعراء القدامى، حيث وصفوا ما وقعت عليه عيونهم من مظاهر الطبيعة الصامتة والصائتة، وصوروها في لوحات فنية رائعة.

وقد وصف الأسمر الزروع والثمار، والأشجار والأزهار، والشمس والقمر، والنجوم والكواكب، والليل، والصبح، والبحار والأنهار، والأمواج والسحب والأمطار، والربيع، والشتاء، والصيف.

كما وصف بعض مظاهر الطبيعة الصائتة (الحية) كالعصافير، والحمام، والديك، والذئب، كما رأينا في حديثنا عن (وصف مظاهر الطبيعة في شعره).

وفي أكثر هذه الموضوعات نرى آثار الشعراء القدامى الوصافين للطبيعة.

وصف (الربيع) بين البحتري (١) ومحمد الأسمر

فصل الربيع مصدر إلهام لكثير من الشعراء، حيث تخضَر الأشجار، وتتفتح الأزهار، وتغرد الأطيار، ويرق النسيم، وتكتسي الأرض حللاً منمقة من النبات المزهر، وقد أولع كثير من الشعراء بفصل الربيع – لاسيما في العصر العباسي – حيث صوروا مظاهر الطبيعة في فصل الربيع.

وها هو ذا البحتري يتناول وصف مظاهر جمال الطبيعة عند حلول الربيع، وأثره في اخضرار الأشجار، وتفتح الأزهار، ورقة النسيم، في ألفاظ عذبة مشرقة، تنبعث منها موسيقى رائعة.

---

(١) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي، من شعراء العصر العباسي الأول، واشتهر بالبحتري نسبة إلى (بحتر)، وهي قبيلته اليمنية الأصل، وإحدى قبائل طيء المشهورة. ولد سنة ٢٠٦هـ بناحية (منبج) بالقرب من حلب، وتوفي سنة ٢٨٤هـ.

يقول البحتري [١]:

أتـــاك الربيـــع الطلـــق يختـــار ضـــاحكاً

مـــن الحُســـن حتـــى كـــاد أن يتكلمـــا[٢]

وقـــد نبّـــه النيـــروز فـــي غســـق الـــدجى

أوائـــلَ وردٍ كُـــنَّ بـــالأمس نُوَّمـــا[٣]

يفتقهـــا بـــرد النـــدى فكأنـــهُ

يبـــثُّ حـــديثاً كـــان قبـــل مكتَمـــا[٤]

فمـــن شـــجر ردّ الربيـــعُ لباســـه

عليـــه، كمـــا نشـــرت وشـــيا مُنمنَمـــا[٥]

أحـــلَ فأبـــدى للعيـــون بشاشـــة

وكـــان قـــذىً للعـــين إذ كـــان مُحرمـــا

---

(١) ديوان البحتري جـ٤ ص٢٠٩٠، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، ط ثانية، سنة ١٩٧٧م.

(٢) الطلق : المشرق . يختال : يمشي في خيلاء وتيه.

(٣) النيروز : أول السنة الشمسية عند الفرس، وهو يوافق بداية فصل الربيع. غسق الدجى: أي ظلام الليل. بالأمس: يقصد قبل حلول فصل الربيع.

(٤) يفتقها : يفتحها. يبث حديثاً: ينشره ويذيعه بين مظاهر الطبيعة. مكتما: مكتوماً، أي إن أريج الأزهار ينتشر في كل مكان، كما ينتشر سر كان قبل ذاك مكتوماً.

(٥) أحل : يقصد البحتري: اكتسى الشجر بعد عري، مثل الحاج يلبس ملابسه بعد انتهاء الإحرام، وتأدية مناسك الحج. أبدى: أظهر وأوضح. بشاشة: جمالاً وابتهاجاً. والقذى: ما يقع في العين من تراب ونحوه فيؤلمها ويسيل دمعها. محرماً: المراد متجرداً من ورقه.

ورقّ نســـيمُ الـــريح حتـــى حســـبتهُ

يجـــيء بأنفـــاس الأحبَّـــة نُعَّمَـــا[١]

لقد جاء الربيع مشرقاً، يمشي مختالاً من العجب، وقد طلع على الدنيا فملأها بشراً وسروراً، كاد ينطق بلسان عربي مبين، تتمّ عنه الأشجار والأزهار والأطيار.

ومع قدوم الربيع بدأت الورود تتفتح وتستيقظ، كما لو كانت قبل حلوله نائمة، وكان للندى دور في تفتح الورود، وتفتق الأزهار، وكأنه بذلك يذيع سراً من أسرار الكون والطبيعة، كان قبل ذلك مكتوماً مختفياً.

فالأشجار أعاد لها الربيع أوراقها الخضراء ، فصارت مبهجة كما لو كانت قد نشرت ثياباً منقوشة بالألوان، مجمّلة بالرسوم، متعة للعيون، وكان في الشتاء ما يؤذي العين ويؤلمها.

وقد رق النسيم في الربيع حتى ليخيل إلىّ أنه أنفاس الأحبّة المترفين المنعمين في رقتها وأريجها الممتع المحبوب.

وقد وصف الشاعر محمد الأسمر (الربيع)، يقول [٢]:

جـــاء الربيـــع منضِّـــداً ، ومنضِّـــراً

هـــام الربـــى، ومُضـــمخاً، ومُعطَّـــراً

ملـــك الفصـــول مشـــى يجـــرُّ ذيولـــه

مَوْشـــيَّة بالســـحر فتنـــة مـــن يـــرى

---

(١) حسبته : ظننته . نعما : مترفين .

(٢) ديوان الأسمر – ص ٥٨٤ .

طـــــاووسُ أيـــــام الحيـــــاة، وريشـــــه

تلـــــك الزهـــــور مُـــــدرهَماً ومُـــــدثرا

لبســـــتْ لمقدمـــــه الطبيعـــــة حليهـــــا

حـــــرّ الزبرجـــــد والعقيـــــقَ الأحمـــــرا

وجـــرى الأصـــيلُ علـــى الأزاهـــر والرُّبـــى

صـــــنع اليـــــدين مُرقشـــــاً ومُعصْـــــفرا

وتنفســـــتْ كـــــلُّ الريـــــاض فأرجـــــتْ

أرجاءهـــــا مســـــكاً يفـــــوح وعنبـــــرا

وترنمـــــتْ فـــــوق الغصـــــون طيُورهـــــا

حتـــى حســـبنا كُـــلَّ غصْـــنٍ مزْهـــرا(١)

حُسْـــنٌ أطـــلَّ علـــى الوجـــود فـــلا تـــرى

إلا جمـــــالاً بـــــاهراً أنّـــــى تـــــرى

ففي قصيدته (الربيع) وصف محمد الأسمر الربيع، ورسم له صورة جميلة، صور فيها مقدمه على الدنيا، وأثره في تجميلها وبهجتها، وجعله ملك الفصول، وطاووس أيام الحياة، حيث تستقبله الطبيعة وقد لبست أجمل ثيابها،

(١) المزهر : العود ، وهو من آلات الطرب .

فتخضر الأشجار، وتتفتح الأزهار، وترسل الشمس – وقت الأصيل – أشعتها الذهبية على الربوات والزروع، فترى الزروع معصفرة، والطبيعة قد تزينت بالزبرجد والعقيق الأحمر، والرياض تفوح عطراً، يعم أريجها أرجاء الأرض مسكاً وعنبراً، اما الطيور فتترنم فوق أغصانها فرحاً بجمال الربيع ومقدمه.

إنه الحسن الذي يطلع على الوجود، فلا ترى إلا جمالاً باهراً في كل مكان.

موازنة ونقد :

وبالنظر في القصيدتين نلحظ ما يلي:

١- نظم البحتري قصيدته في وصف الربيع على وزن (بحر الطويل)، في حين نظم الأسمر قصيدته (الربيع) على وزن (بحر الكامل).

والبحران من الأبحر الممتدة، كثيرة الحروف، ذات المسافات الصوتية الطويلة، التي تمكن الشاعر من سرد أوصافه، والتعبير عما يجول بخاطره، والتأنق في أخيلته.

٢- اختار البحتري حرف (الميم المفتوحة) بوداعته ورقته، وسهولته ليكون رويًّا لقصيدته في وصف الربيع، واختار الأسمر حرف (الراء المفتوحة) بصفيره وتكرره ورنينه ليكون رويًّا لقصيدته (الربيع).

والحرفان ملائمان ومناسبان للإيحاء بالحسن والجمال، وبهجة الطبيعة، وترنم الطيور على أغصانها فرحاً وابتهاجاً بمقدم الربيع.

٣- اتسم أسلوب البحتري في وصف الربيع بالألفاظ العذبة، الرقيقة، والصياغة المحكمة الجيّدة، والأساليب السلسة المشرقة، وقد اختار البحتري من الألفاظ ما يلائم جمال الطبيعة في الربيع، من مثل: (الطلق، يختال، ضاحكاً، الحسن، الندى، الورد، الشجر، بشاشة، رقّ، انفاس الأحبة،نعما).

كما اختار الأسمر الألفاظ الجزلة القوية، الموحية بجمال الطبيعة في الربيع، من مثل: (منضدا، منضرا، مضمخا، معطرا، ملك الفصول، مشى يجرّ ذيوله، موشة، حسن، فتنة...).

٤- وصف البحتري الربيع أكثر تعمقاً من وصف الأسمر، حيث إن البحتري قد بث الحياة في (الربيع) وشخصه، فهو يختال ضاحكاً حتى كاد أن يتكلما؛ مما يوحي بحيوية الطبيعة، وجمالها في الربيع.

كما نرى أن البحتري قد وصف لنا إحساسه بجمال الطبيعة في الربيع، كقوله: (حتى حسبته يجيء بأنفاس الأحبة نُعَّما)، وهو ما لا نجده في وصف الأسمر.

وصف (غروب الشمس) بين ابن الرومي والأسمر:

وصف (غروب الشمس) كثير من الشعراء في القديم والحديث، لعل من أبرزهم: ابن الرومي[١] في العصر العباسي، والرصافي[٢]، وإيليا أبو ماضي[٣]، وخليل مطران [٤]، ومحمد الأسمر[٥] في العصر الحديث.

---

(١) ديوان ابن الرومي – جـ٤ ص١٤٧٥ – تحقيق: الدكتور حسن نصر – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٨م.

(٢) ديوان الرصافي – الجزء الأول، ص١٥٧ – ترتيب وتبويب: محي الدين الخياط.

(٣) ديوان إيليا أبي ماضي – ص٧٨٤ – ٧٨٨ (بدراسة عن إيليا أبي ماضي للشاعر زهير ميرزا).

(٤) ديوان الخليل – جـ١ ص١٧ – دار مارون عبود – بيروت – سنة ١٩٧٥م.

(٥) ديوان (بين الأعاصير) لمحمد الأسمر – ص١٠٤ .

يقول ابن الرومي [١] في وصف (الشمس الغاربة)[٢]:

إذا رنَقـــتْ شـــمسُ الأصـــيل، ونفَضـــتْ
علـى الأفـق الغربـي ورْسـا مُزعزعـا[٣]
وودعـــت الـــدنيا لتقضـــي نحبهـــا
وشـــول بـــاقي عمرهـــا فتشعشـــعا[٤]
ولاحظـــت النـــوار وهـــي مريضـــة
وقـد وضـعتْ خـدا علـى الأرض أضـرعا[٥]
كمـــا لاحظـــتْ عـــواده عـــين مـــدنف
توجّـــع مـــن أوصـــابه مـــا توجّعـــا[٦]
وظـلـت عـيـون النّور تـخـضّـل بالـندى
كمـا اغرورقـت عـينُ الشـجيّ لتـدمعا[١]

---

(١) هو : أبو الحسن علي بن العباس بن جريج الرومي، من شعراء العصر العباسي، ولد ببغداد سنة ٢٢١هـ، وبها أقام حياته كلها، وكان كثير التطير جداً، قال الشعر في كل غرض، ولاسيما الوصف والهجاء. وتوفي سنة ٢٨٣هـ.

(٢) ديوان ابن الرومي – جـ٤ ص١٤٧٥ – تحقيق: الدكتور حسين نصار.

(٣) رنق الماء ككدر، ورنق: كدر. نفض: حرك. ونفض (بالتشديد) للمبالغة في الفعل. الورس: نبت أصفر. يقال: ورس الثوب توريسا: صبغه بالورس. والزعزعة: تحريك الشيء.

(٤) شول : قلّ. فتشعشعا: المراد انتشر وتوزع.

(٥) اضرعا : ضرع ضراعة : خضع وذل .

(٦) الدنف (بفتحتين) : المرض الملازم. أوصابه : المراد آلامه .

(١) تخضلّ : تبتل. اغرورقت العين : امتلأت بالدمع. الشجي: الحزين.

يراعينهـــا صـــورا إليهـــا روانيـــا
ويلحظــن ألحاظــاً مــن الشــجو خشّــعا[١]
وبـــينَ إغضـــاءُ الفـــراق عليهمـــا
كأنهمـــا خـــلا صـــفاء تودّعـــا
وقــد شــربتْ فــي خضــرة الــروض صــفرة
مــن الشــمس، فاخضرا اخــضرارا مشعشعا
وأذكـــى نســـيم الـــروض ريعـــان ظلّـــه
وغنَّـــى مغنـــي الطيـــر فيـــه وســـجَّعا[٢]

ففي هذه الأبيات نرى ابن الرومي يصور (الشمس الغاربة) مريضة تودِّع الدنيا لتقضي نحبها بالغروب والرحيل عن الدنيا، وتبكيها مظاهر الطبيعة، فعيون النوار مغرورقة بالدمع، تتطلع إليها في حزن؛ لفراق محبوبته مانحة الحياة (الشمس).

إنها صورة حزينة ، تلك التي رسمها ابن الرومي (للشمس الغاربة)، فالشمس كدرتها ظاهرة، وآثار هذه الكدرة قد انعكس على الكون، وبدا في الاصفرار الذي عمّ الكائنات، والنفض للون إيحاء بشدة المرض، والشمس مشفقة من الفراق، فلا أقل من نظرة وداعية تلقيها على أحبتها (الكائنات).

فالصورة في مجملها (مأتم للشمس في غروبها، لبست فيه الطبيعة زي الحداد، ورددت موسيقاها الجنائزية حزناً عليها)[١].

---

(١) روانياً : رنا إليه : أدام النظر، لحظه ولحظ إليه بمؤخر عينيه. الشجو: الهم والحزن.

(٢) ريعان ظله : ريعان كل شيء : أوله وأفضله.

(١) أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب، للدكتور/ نظمي عبد البديع – ص٢٥٩ – ط دار الفكر العربي، سنة ١٩٧٦م.

وصف محمد الأسمر (الشمس) في قصيدة بلغت ثمانية وأربعين بيتاً، بناها الشاعر على نظام المقطوعات، تناول في كل مقطع وصف الشمس في حالة من حالاتها، أو شكل من أشكالها، ونقتطف منها المقطع السادس الذي يصف فيه (غروب الشمس)، يقول[١]:

أقبلـــــتْ تـــــدلف للغـــــروب، فهـــــلا

أســـــــرعت، أم ذاك ضـــــعف الكِبَـــــرِ

إنهـــــــا لـــــــــلأرض أمٌ وكفـــــــى

وهـــــي أيضـــــاً جـــــدةٌ للقمـــــرِ

لـــــم تـــــزل تـــــدأب فـــــي ريـــــثٍ إلـــــى

غـــــامض مـــــن ســـــرِّها مســـــتتر

ليـــــت شـــــعري، أي شـــــيء تبتغـــــي

هـــــذه الشـــــمطاءُ منـــــذ الصـــــغر

ففي هذه الأبيات التي وصف الأسمر فيها (غروب الشمس)، نرى الشاعر يصوِّر (الشمس الغاربة) ضعيفة، أوهنها الكبر والشيخوخة، فراحت تمشي في بطء للغرب حيث نهايتها ورحيلها.

ويربط الأسمر مشهد (غروب الشمس) بوحدة الوجود التي تنتظم الكون كله، فهي أم الأرض، وجدة القمر، وهي تسير في ريث إلى سرٍّ من أسرارها الغامضة، وهو جزء من سر الحياة والكون والوجود.

---

(١) ديوان (بين الأعاصير) لمحمد الأسمر – ص١٠٤ .

ولعلنا نلحظ ما يلي:

١- لم يكن محمد الأسمر في وصفه لمشهد (غروب الشمس) منفصلاً عن سابقيه من الشعراء القدامى، الذين صوروا الشمس الغاربة مريضة، أو كبيرة في السن، كما رأينا عند ابن الرومي.

٢- أن ابن الرومي قد استوفي صورة (الشمس الغاربة) استيفاءً يكاد يكون تاماً، في حين غلب على الأسمر جانب الفكر والتأمل في الكون والحياة.

٣- رمز الشاعران (ابن الرومي) و(الأسمر) بغروب الشمس إلى الموت والرحيل والفناء، وهو من مواضع التلاقي بين الشاعرين، أو إن شئت فقل: من تأثر الأسمر بابن الرومي.

وقد اتسمت نظرة ابن الرومي بالعمق، وقوة التخيل، في حين كانت نظرة الأسمر سطحية خالية من العمق.

٤- لجأ ابن الرومي إلى التجسيم والتشخيص، فرأينا في صورة (الشمس الغاربة) انعكاساً لحالته النفسية الحزينة، حيث نجح في إيجاد مشاركة وجدانية بينه وبين مظاهر الطبيعة.

أما محمد الأسمر، فلم نعرف – من وصفه (للشمس الغاربة) – شيئاً عن حالته النفسية إلا أنه مهموم بسر الوجود، وقضية الموت والفناء والرحيل.

هكذا تأثر محمد الأسمر في وصف الطبيعة ببعض الشعراء القدامى، فشعره يكاد يشبه في معجمه ونسجه، وبناء عبارته صورة الشعر في العصر العباسي، لاسيما عند البحتري وابن الرومي وغيرهما.

ثانياً : **التجديد في شعر وصف الطبيعة عند الأسمر**:

ليس معنى أن شاعرنا قد تأثر في شعر وصف الطبيعة ببعض شعراء الطبيعة السابقين أننا ننفي التجديد في شعر وصف الطبيعة عنده، فقد كان

للأسمر تجديدات واضحة في شعره، فهو يعد أحد شعراء المدرسة الكلاسيكية الجديدة، التي حافظت على عمود الشعر العربي في الألفاظ والأساليب، والمعاني، والأخيلة، والأوزان، والقوافي، مع التجديد في بعض الموضوعات الشعرية، ومسايرة روح العصر، وتعبير الشاعر عن نفسه في صدق ووضوح.

ولعل أهم مظاهر التجديد في شعر وصف الطبيعة عند محمد الأسمر قد تجلى في:

١- وصف المصطاف أو الشواطئ.

٢- وصف مشاهد الحضارة الحديثة.

أولاً : **وصف المصطاف أو الشواطئ** :

وهو لون من شعر وصف الطبيعة، أكثر منه الأسمر لتنوع الشواطئ وجمالها في مصر، وأيضاً لكثرة أسفار الأسمر، ورحلاته إلى المصايف، إذ يقول [١]:

لا عـــدمت المصـــطاف أســـعى إليـــه

أســـــتمدُّ البيـــــان عامـــــاً فعامـــــا

ومن قصائده التي تمثل هذا اللون:

(صيف مصر ومصطاف رأس البر)[١]، (في المصطاف بين السماء والبحر)[٢]، (قلبي وعقلي بين الأمواج وفوق الشاطئ)[٣]، (من مجيري؟)[٤]،

---

(١) ديوان الأسمر – ص ٣١٩ .

(١) ديوان الأسمر – ص ٣١٧ ، ٣١٨ .

(٢) ديوان الأسمر – ص ٣١٨ ، ٣١٩ .

(٣) ديوان الأسمر – ص ٣٢٠ ، ٣٢١ .

(٤) ديوان الأسمر – ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .

(الهلال بالمصطاف)[١]، (العودة من المصطاف)[٢].

وفي هذا اللون من شعر وصف الطبيعة عنده، وصف الأسمر البحار، والأمواج، والسحاب، والرمال، والشواطئ، كما رأينا في حديثنا عن (وصف مظاهر الطبيعة في شعره).

ثانياً : **وصف مشاهد الحضارة الحديثة** :

ولعل من مظاهر التجديد في شعر وصف الطبيعة عند محمد الأسمر، وصف مشاهد الحضارة الحديثة، حيث جدّت في عصر الشاعر بعض المخترعات الحديثة، كالقطار، والطائرة، والمذياع، وغيرها.

وكان الأسمر يرى هذه المخترعات متأملاً معجباً – كغيره من أبناء عصره – ومن ثم انبرى يصفها في شعره، فوصف القطار بأنه البرق الخاطف.

يقول في قصيدته (القطار)[٣]:

يكــرّ علــى القضــبان كــالبرق خاطفــا

ويحســبه مَــنْ فيــه يمشــي علــى مَهــل

مصــوغَ مــن البــأس الشــديد مُســيَّرٌ

بقــوم علــى قــوم، وثقــل علــي ثقــل

(١) ديوان الأسمر – ص ٣٢٢ .

(٢) ديوان الأسمر – ص ٣٢٢ ، ٣٢٤ .

(٣) ديوان الأسمر – ص ٥٧٧ .

يســـــير وفـــــي آثـــــاره عرباتـــــهُ

كهـــاد يـــدلُّ التـــائهين علـــى السُّـــبل

يســـير بهـــا، والنـــاس فيهـــا كـــأنهم

خلايـــا حـــوتْ فـــي جوفهـــا زُمـــر النحـــل

أراه ســـــــلاماً للـــــــبلاد وكـــــــوثرا

عليهـــا، وإن كانـــت مراجلـــه تغْلـــي

كما وصف الأسمر (الطائرة) بعفريت الجن مرة، وبالحدّاية مرة ثانية، وبالأفعى طوراً ثالثاً.

يقول في قصيدته (الطائرة)[١]، وقد زيّن له صديقه الطيار المصري الأستاذ (أبو موسى مرسي) ركوبها:

رأيتُهـــا وهـــي بالأحبـــاب طـــائرة

فـدارت الأرض بي مـن شـدة الـفـرق [١]

عفريـــت جـــن بـــبعض النـــاس منـــدفع

بـين السـماء، وكـم للجـن مـن نـزق؟[٢]

---

(١) ديوان الأسمر – ص ٥٧٨ .

(١) الفرق : الخوف .

(٢) النزق : الخفة والطيش .

كما وصف الأسمر (المذياع) الذي كان معجزة زمنه، والذي كان أشبه شيء بالسحر، ذلك الصندوق العجيب، الذي حوى ما حوى من قارئ ومن زامر، موجه أسرع في أثير الجو من الخاطر.

يقول الأسمر في وصف (المذياع)[١]:

معجـــــــزةٌ للـــــــزمن الحاضـــــــر

وحجـــــــة منـــــــه علـــــــى الغـــــــابر

حقيقـــــــــة باليـــــــــد ملموســـــــــة

تحســـــــــبها تخييليـــــــــة الســـــــــاحر

واهـــــاً لصـــــندوق حـــــوى مـــــا حـــــوى

مـــــن قـــــارئ فيـــــه ومـــــن زامـــــر

كـــــم لأثيـــــر الجـــــو مـــــن موجـــــة

أســـــرع فـــــي الســـــير مـــــن الخـــــاطر

تمـــــــرُّ بالعـــــــالم فـــــــي لمحـــــــة

فتـــــــــــربط الأوَّلَ بـــــــــــالآخرِ

(١) ديوان الأسمر – ص ٥٧٥ – ٥٧٦ .

ويتسم شعر محمد الأسمر في وصف مشاهد الحضارة الحديثة بوضوح الألفاظ وسهولتها، حتى إن بعض ألفاظه لتقترب – إلى حد كبير – من اللهجة العامية، أو لغة الناس في حياتهم اليومية.

كما يتسم شعره في وصف مشاهد الحضارة الحديثة، بما يمكننا أن نسميه (الروح المصرية) فالطائرة عفريت جن.

وهو يذكرها (تحت اللحاف) على فرشه فلا ينام من الأرق.

والطائرة عفريتة من شرِّ العفاريت.

والطائرة حدّاية خطفت الكتاكيت.

فهذه كلها من سمات الروح المصرية في التفكير والتخاطب.

هكذا كان محمد الأسمر مقلداً للشعراء القدامى، متأثراً بهم في بعض شعره، مجدداً مبدعاً في البعض الآخر، وهو ما نراه استجابة من الشاعر لروح عصره، وبواعث النهضة الأدبية والشعرية فيه.

ثالثاً : **آراء النقاد في شعره**:

لقد عاصر محمد الأسمر رجالاً كانوا في الأدب موازين دقيقة، اعترفوا له بالفضل والشاعرية والعبقرية، وكانت لهم في الأسمر وشعره آراء ودراسات.

ولا نستطيع أن نلمّ بكل ما قيل عن الأسمر، فقد كان الرجل علماً من أعلام الشعر في جيله، وإنما يمكننا أن نسلط الضوء – في إيجاز – على أبرز ما قيل عن الشاعر الكبير، فهو يغني عن سواه.

أولاً : **الشعراء** :

١ – يقول الشاعر محمود غنيم [١] :

(١) مقدمة (ديوان الأسمر) ص (ي) .

مـــا بـــال شـــعر الشـــاعر الأســـمر

أبـــيض مثـــل الفلـــق المســـفرِ؟

فتشـــت مـــا فتشـــت عـــن لفظـــة

نابيـــــة فيـــــه، فلـــــم أعثـــــرِ

فيـــه علـــى مـــا فيـــه مـــن قـــوة

رقـــــة مـــــاء النيـــــل والكـــــوثرِ

كـــــالزهر إلا أنـــــه خالـــــد

مثـــل خلـــود الهـــرم الأكبـــر

قـــد بعـــث الأســـمر فـــي شـــعره

عهـــد (أبـــي الطيـــب) و(البحتـــري)

وشـــــاد للنيـــــل بأبياتـــــه

مـــا لـــم تشـــيده يـــدا (جـــوهر)

شـــعرك يـــا (أســـمر) فـــي قربـــه

أنـــأى مـــن الزّهـــرةِ والمشـــتري

عجبـــت يـــا صـــاح لصـــاح تـــلا

ديوانـــك العـــذب ولـــم يســـكرِ

٢ – وأثنى عليه الشاعر الأستاذ علي الجندي:

فقال من قصيدة منشورة في (ديوان الأسمر)[١]:

لـــــم أَكَـــــذِبْكَ يـــــا نبـــــيَّ القوافـــــي

فلمـــــــاذا أقمـــــــتَ لـــــــي برهانـــــــا

وقال في قصيدة أخرى [٢]:

ألـــــــم يكفـــــــه أنـــــــه بيننـــــــا

يحـــــلُّ محـــــلَّ (أبـــــي الطيـــــب)؟

٣- وأثنى عليه صديقه الشاعر محمد عبد الغني السيد:

فقال في قصيدة منشورة في (ديوان الأسمر)[٣]:

رقـــــة فيـــــك لـــــم تـــــتح لزهيـــــر

وأفـــــانينُ لـــــم تكـــــن للأعشَـــــى

وقال في قصيدة أخرى [١]:

هـــــو واحـــــدٌ متفـــــردٌ فـــــي ظرفـــــه

وجماعـــــة فـــــي شـــــعره وفنونـــــه

---

(١) ديوان الأسمر – ص٣٨٦ .

(٢) ديوان الأسمر – ص ٣٨٠ ، بين الأعاصير – ص ١٦ .

(٣) ديوان الأسمر – ص ١٦٧ .

(١) ديوان الأسمر – ص ٣٨٣ .

٤ – ووصف شعره الشاعر خليل مطران فقال [١]:

(إن شعر الأسمر رائع فاتن، وهو أشبه الأشياء بقوس قزح في جماله، وتعدد ألوانه.)

٥ – وقال عنه الشاعر عزيز أباظة [٢]:

(إن شعر الأستاذ الأسمر مزاج من الحس الدقيق في الشعر الرقيق، وتلك مرتبة ارتفع لها الشاعر الكبير، وأخشى أن تكون قد أعجزت بعده كل شاعر كبير.)

٦ – وبعث إليه من أمريكا الشاعر المهجري رشيد سليم خوري (الشاعر القروي) يقول [٣]:

(أخي شاعر الجودة والرقة والدعابة، لما شرعت في مطالعة ديوانك حرصت على أن أطوي زاوية الصفحة، عند كل قصيدة أو بيت، أو خاطر يعجبني، فرأيتني أوشك أن أطوي كل صفحاته، وأعلم على كل أبياته، ولا أكاد أفتحه مرة إلا هتفت بجليس، أو من يتفق مروره بقربي: اسمع هذه القطعة، أو إليك هذا المعنى، فإذا لم أجد مذواقاً اتخذت من نفسي شارباً ونديماً، ومطيباً في آن واحد).

هذه آراء كبار الشعراء في محمد الأسمر وشعره، وهي كلها تنم عن التقدير للشاعر، والاستحسان لشعره، على الرغم مما يكون بين الشاعر والشاعر – أحياناً – من مزاحمة ومنافسة.

ثانياً : شيوخ الأزهر :

١- قال عنه الأستاذ الكبير الشيخ محمد مصطفى المراغي (شيخ الجامع

---

(١) بين الأعاصير – ص ١٧ .

(٢) دراسات في الأدب المعاصر – للدكتور خفاجي – ص٣٦١ .

(٣) دراسات في الأدب المعاصر – ص٣٦١ .

الأزهر): (إن الأستاذ الأسمر رفع من شأن الأزهر في مناسبات مختلفة أمام الهيئات التي لم تتصل بالتعليم الأزهري عن كثب)[١].

٢- وقال الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق (شيخ الجامع الأزهر): (لشعرك تأثير في نفسي، أحسبه يفوق الشعر، ذلك أنه فيض نفس أحبها، وقد يكون سحراً ذلك الذي ترسله نغماً موسيقياً، في أسلوب سهل، فيسري في الأرواح، ويفجر العواطف خلالها تفجيراً).[٢]

٣- وقال الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم (شيخ الجامع الأزهر): (أسأل الله – تعالى – أن يكثر من أمثالكم الذين يرفعون من شأن الأزهر، وأن يديم توفيقكم، ويسدد خطاكم)[٣].

٤- وقال عنه العالم الجليل الأستاذ محمد محمد الشافعي الظواهري (الأستاذ بكلية أصول الدين): (في شعر الأسمر جمال كثير، فالكلمة المفردة في شعره منتقاة، لها جمالها الخاص بها، وتقرأ البيت من شعره فتجد له جماله الخاص به، وتقرأ القصيدة كلها فتجد كل بيت أخذ مع الأبيات الأخرى لوناً آخر من الجمال، زيادة على جماله الخاص به، ففي شعر الأسمر جمال مستقل، وجمال متشابك متجدد، والأسمر موقف كل التوفيق في اختيار ألفاظه لمعانيه، حتى كأن معانيه فيها مغناطيسية تجذب إليها ألفاظها التي يتطلبها المثل الأعلى لصياغة الشعر)[١].

---

(١) دراسات في الأدب المعاصر – للدكتور خفاجي – ص٣٦١ .

(٢) دراسات في الأدب المعاصر– للدكتور خفاجي – ص٣٦٢ .

(٣) دراسات في الأدب المعاصر– للدكتور خفاجي – ص٣٦٢ .

(١) دراسات في الأدب المعاصر – ص٣٦٢ .

ثالثاً : **أعلام الصحافة والأدب** :

ولأعلام الصحافة وكُتابها آراء كثيرة في شعر الأسمر، نشير إلى بعضها:

قال أنطون الجميّل (رئيس تحرير جريدة الأهرام) عن شعر الأسمر: (شعر الأسمر في معظمه مزيج من الحقيقة والخيال، يرتفع الشاعر حيناً في جو التصور، فيصور ما يجلوه له الخيال، ويغوص إلى أعماق النفس حيناً، فيروي ما يشعر به حسه، ويدرج حيناً في عالم الحقائق المجردة، لا يتورع عن اقتناص اللفظة الواقعية، وإن كان الشعراء قد تواضعوا على نبذها من لغة الشعر، وقد نحا في هذا النحو "فيكتور هوجو" الذي ذهب هذا المذهب قبل سواه)[١].

وتصف هدى شعراوي شعر الأسمر، فتقول[٢]: (إن شعر الأسمر كنغمات البيانو، وهو غذاء كامل للروح، إن الأسمر يمتاز بمقدرته على إبراز معانيه التي يريدها إبرازاً كامل الوضوح، حتى لنكاد نراها بأعيننا، ونلمسها بأيدينا).

وعن شعر الأسمر يقول أستاذنا الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي[١]: (شعر الأسمر سجل لأحداث الشرق، والغرب، والعرب، ومصر، والإنسانية في عصر الشاعر، وهو في كل ذلك حلو الألفاظ، عذب الأسلوب، رائع المعاني، متماسك الوحدة في قصائده، يجمع بين الجزالة والرقة في نظمه، ويبتعد عن التكلف والحوشية، والغرابة، والابتذال والغموض، والتعقيد).

---

(١) دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه – للدكتور خفاجي – جـ١ ص٢٠٥ ، ٢٠٦.

(٢) ديوان (بين الأعاصير) – ص٢٢ .

(١) مقدمة (بين الأعاصير) بقلم الدكتور / خفاجي – ص٨٠٧ .

هذا قليل من كثير مما قيل عن الشاعر وشعره، ولو أردنا استيعاب كل ما قيل عن الشاعر لما اتسع له هذا المقام.

فالأسمر شاعر مطبوع، عزف على قيثارة الشعر أعذب الألحان، وأحلى الأنغام، ووصف الطبيعة فأمتع، وصوّر جمالها وحسنها فأبدع، حتى لنكاد نرى بأعيننا، ونلمس بأيدينا، ونسمع بآذاننا– في شعره – تمايل الأغصان، واخضرار الأشجار، وتألق الأزهار، وتفتح الورود، ورقة النسيم، وسقسقة العصافير، وشدو الحمائم، في لفظ رقيق، وأسلوب رشيق. فكأن الطبيعة الجميلة في بيئته قد أثرت في ألفاظه رقة وعذوبة، وفي أساليبه سلاسة وجمالاً ورشاقة، فما الأدب إلا (التعبير القوي الصادق عن مشاعر المرء، وأخيلته، وهذه تتأثر بأحوال العيش، وأنواع العقائد، وأطوار المجتمع، وأنظمة الملك، وتقلبات السياسة)[١].

ثم إن الفنان ابن بيئته كما يقولون.

والحمد لله أولاً وآخرًا.

(١) من مقال بعنوان : (العوامل المؤثرة في الأدب) للزيات – بمجلة الرسالة – بتاريخ ١٥ فبراير سنة ١٩٣٣م – العدد الثالث – السنة الأولى.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢٠١٢
المبحث الأول : وصف الطبيعة في شعر محمد الأسمر	٢٠١٦
أولاً : وصف مظاهر الطبيعة الصامتة (الساكنة)	٢٠٢٠
النباتات	٢٠٢٠
الأشجار	٢٠٢١
الأزهار	٢٠٢٤
المائيات	٢٠٢٥
الكونيات	٢٠٣٢
الفصليات	٢٠٤٤
ثانيا : وصف مظاهر الطبيعة الصائتة (الحية)	٢٠٥٢
أ – الطيور	٢٠٥٢
ب – الحيوانات	٢٠٥٦
المبحث الثاني : الخصائص الفنية في شعر وصف الطبيعة عند محمد الأسمر	٢٠٥٩
الألفاظ والأساليب	٢٠٦٠
الأفكار والمعاني	٢٠٦٧
الخيال والصورة الشعرية	٢٠٧٢

الـمـوضــوع	الصفحة
الموسيقى والأوزان	٢٠٧٧
المبحث الثالث : محمد الأسمر في ميزان النقد	٢٠٨٦
أولاً : تأثره بشعراء وصف الطبيعة السابقين	٢٠٨٦
ثانيا: التجديد في شعر وصف الطبيعة عند الأسمر	٢٠٩٦
ثالثا: آراء النقاد في شعره	٢١٠١
أولا : الشعراء	٢١٠١
ثانياً: شيوخ الأزهر	٢١٠٤
ثالثاً : أعلام الصحافة والأدب	٢١٠٦
فهرس الموضوعات	٢١٠٨